البحث عن دين الفطرة

د. محمد المختار الشنقيطي

Twitter: @mshinqiti

قُدّمَت هذه المادة على موقع رواق

من: 15 ديسمبر 2013 إلى: 31 مايو 2013

دوّنها: محمد سعود الغيداني

Twitter: @Mo7ammad_saud

قائمة المحتويات

مقدّمة 3

طبيعة الدين وماهيته 4

أصل الدين ووظيفته 11

الدين والعلم والعقل 19

الألوهية والوحي والنبوات 26

أنماط التدين والتعددية الدينية 32

مستقبل الأديان 37

المراجع 44

مقدّمة

تتنازع هذه المادةَ فلسفةُ الأديان وعلم النفس الديني، فهي تهدف إلى تعريف الدين لغويا ومفهوميا، وبيان ماهيته والعناصر الجوهرية والعرَضية فيه، والبحث في أصل نزعة التدين عند البشر في جذورها الوجدانية والعقلية، وينابيعها الذاتية والموضوعية، وجوانب الفطرة والاكتساب فيها، وحضور فكرة الألوهية والخلود والموت في الثقافة الإنسانية، وقضايا الحرية والمسؤولية والجزاء، والعلاقة بين الدين والعلم، والدين والفلسفة.

ثم التعريف بتجارب بعض العقول الدينية المتميزة، ومعاناتها الروحية والفكرية في تلمُّسها لمعنى الوجود وسر الحياة، وما وراء كل ذلك من بحث عن دين الفطرة.. والتفكير في مآلات الأديان في عصر العلم، وأثر ذلك على مستقبل الإنسان.

المخرجات المتوقّعة:

بإكمال هذه المادة يتوقع أن يكتسب الطالب الخبرات الآتية:

- القدرة على فهم الظاهرة الدينية فهما موضوعيا والتفكير فيها تفكيرا حرا ناضجا.
- فهم مكونات الظاهرة الدينية والتمييز بين العنصر الخالد والعنصر التاريخي منها.
- إدراك أهمية الدين وأثره العميق في مسيرة الإنسانية وحضارتها ومصائرها.
- فهم علاقات التأثير والتأثر بين الدين ومختلف جوانب الحياة الإنسانية الأخرى.
- استيعاب تجارب بعض العقول الدينية الكبرى وإدراك معاناتها الفكرية والروحية.
- القدرة على التأمل الواعي في ارتباط مصير الإنسانية ومعنى وجودها بالدين.

الأسبوع الأول: طبيعة الدين وماهيته

- الشعوب في البلدان الإسلامية والعربية هي أكثر الشعوب تدينا ولكنهم أقل الشعوب دراسة علمية للأديان بالمعنى الأكاديمي.
- لو نظرنا في الفكر البشري, سنجد أن هناك طريقين لمحاولة تفسير معنى الوجود وسر الحياة:

أولا: هنالك نزعة مادية تحاول أن تفسّر الكون ضمن حدود الكون. لكن مشكلة هذه النزعة أنها غير متّسقة في منطقها, لأنها تفسّر بعض الظواهر وتغفل ظواهر أخرى.
ثانيا: المَنْزَع الغيبي وهو أشمل, حيث يفسّر ظاهرة الحياة المادية, ويفسّر أيضا الظواهر الغيبية الموجودة, والتي لا نستطيع أن نتنكّر لها باعتبارها جزءا من حياتنا.

- من الملاحظات التمهيدية في هذا الباب, هو وجود نظرية تطوّرية في تفسير الأديان, بدأت تسود في الثقافة المعاصرة وخصوصا في الغرب. هذه النظرية تعتبر أن الأصل هو الوثنية وأن الأديان تطوّرت حتى وصلت إلى التوحيد. فهو نوع من التفسير التاريخي اللاديني للدين.
- هذه النظرية التطوّرية ليست دقيقة في تفسيرها للظاهرة الدينية, لأن تَتَبُّع تاريخ الأديان يشهد بوجود التوحيد منذ البداية. وقد دافع عن هذا (أوتو) في كتابه (فكرة المقدّس), وهو من فلاسفة الغرب.
- أيضا من الملاحظات التمهيدية التي نود الإشارة إليها, هو أن الأديان - خصوصا الديانات التوحيدية - قد استطاعت أن تتجاوز الصراع مع الفلسفة ومع العلم في القرن التاسع عشر.
- في القرن التاسع عشر, كان هنالك تمرّد على الدين, وتفاؤلٌ مُفرط في قدرة العلم على تفسير معنى الوجود والحياة.
- لكن في القرن العشرين, انفجرت آفاق واسعة من المعرفة أمام الإنسان, وجعلته يتواضع أكثر, ويدرك أن العلم البحت لا يستطيع أن يفسّر معنى الحياة والوجود. ولذلك كَتَب (غاليو سوليفان) في كتابه (حدود العلم): "العلم في القرن العشرين أصبح أكثر تواضعاً, وأقلَّ تبجّحاً".
- الآن تبيّن أن تنكّر علماء الأديان البحتة للعقائد الدينية - خصوصا التوحيدية – كان موقفاً سيكولوجيا ولم يكن موقفا منطقيا أو علميا. فبدأ كثيرٌ منهم يعودون للإيمان, ومن لم يؤمن منهم بديانته بدأ يتجّه للإسلام.

- **الإنسان حيوان متدين:-**

- الإنسان متدين بالطبع. يقال أن الإنسان حيوان ناطق, وحيوان مدني. ويمكن أن نقول أن الإنسان حيوان متدين أيضا.
- الإنسان متدين بالفطرة, والدين ظاهرة أصيلة في الحياة الإنسانية.
- يقول مالك بن نبي: "إن الحضارات ولدت في ضل المعابد", وهو يقصد أن كل الحضارات الإنسانية الكبرى بدأت في أصلها روحا دينية ثم تجسدت هذه الروح فيما بعد في فنون وعلوم ومؤسسات.
- الأصل الاشتقاقي في اللغة العربية للدين: هو من فعل "دانَ", وتعني: ملكَ وقهرَ وساسَ. وفي الحديث الصحيح: "الكيّس من دانَ نفسه".
- ولكن هذا الفعل يستخدم فعلا لازما وفعلا متعديا, بعدد من حروف الجر. فنقول: "دانهُ" و "دانَ له" و "دانَ به". ولكل منها معنى مختلف.
- "دانه" تعني: ملَكَهُ و قهره. "دان له" تعني: خضَع وأطاعَ له. وأما "دان به" فتعني: اعتقده وتخلّق به.
- العرب تقول: "هذا ديني وديدني". بمعنى: هذا خلقي وطبيعتي, ومزاجي وسجيتي.
- العلّامة الدكتور محمد عبدالله دراز لخَص المعنى الاشتقاقي اللغوي للدين, فقال: "إن كلمة الدين عند العرب تشير إلى علاقة بين طرفين يُعظّم أحدهما الآخر ويَخْضَعُ له".
- أما التعريفات الإسلامية التراثية لكلمة الدين, فتكاد تكون متشابهة, وقد تكررت في عشرات الكتب في التراث. وهو تعريف الدين بأنه: "وضْعٌ إلهيٌّ, سائقٌ لذوي العقول, بسبب اختيارهم, إلى ما هو خيرٌ لهم".

- **تعريفات شتّى للدين:-**

- من الملاحظ على التعريفات الإسلامية التراثية للدين, هو أنّها ليست تعريفات جامعة للظاهرة الدينية كلها كما في الدراسات المعاصرة. وإنما هي تعريفات إسلامية, تنطبق على الإسلام أكثر مما تنطبق على غيره.
- لذلك, إذا درسنا التعريفات الإسلامية للدين في كتب التراث, فلابد أن نأخذ بالاعتبار أنها تعريفات خاصة تعبّر عن الدين في السياق الإسلامي, وليس عن الظاهرة الدينية بشكل عام كما نتحدّث عنها في الدراسات المعاصرة.
- من المصطلحات المرتبطة بالدين: الشريعة, المذهب, الملة. وقد تحدث علماء الإسلام عن هذه المصطلحات.
- الشريف الجرجاني في كتاب (التعريفات), ميّز بين الدين والشريعة والملة والمذهب, فيقول: "الشريعة من حيث إنها تُطاع, تسمّى دينا. ومن حيث إنها تجْمع, تسمّى ملّة. ومن حيثُ إنها يُرجْع إليها تسمّى مذهبا.

- وقيل أن الفرق بين الدين والملّة والمذهب: أن الدين منسوب إلى الله سبحانه وتعالى, والملة منسوبة إلى الرسول, والمذهب منسوب إلى المجتهد.
- أما في العصر الحديث, فقد ظهرت تعريفات بعضها متأثر بالتعريفات التراثية للدين, وبعضا متأثر بالدراسات المعاصرة الغربية.
- الدكتور سعود بن عبدالعزيز الخلف في كتاب (دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية) يعرّف الدين – تعريفاً هو أقرب للتعريفات المعاصرة- فيقول: "الدين هو اعتقاد قداسةِ ذاتٍ, ومجموعة السلوك الذي يدلُّ على الخضوع لتلك الذات, ذلّاً ومحبة, رغبةً ورهبة".
- أما الدكتور محمد عبدالله دراز في كتابه (الدين) فيعرّف الدين بأنه: "وجود ذاتٍ أو ذواتٍ غيبيةٍ علوية, لها شعورٌ واختيار, ولها تصرّفٌ وتدبير للشؤون التي تعني الإنسان, اعتقادا من شأنه أن يبعث على مناجاة تلك الذات السامية في رغبةٍ ورهبة".
وفي مكان آخر من الكتاب اختصر الدكتور دراز تعريف الدين بأنه: "الإيمان بذات إلهية, جديرة بالطاعة والعبادة".
- يوجد من علماء الأديان من لا يتفق مع هذا التعريفات, لأنهم يرون أن فكرة الألوهية ليست بالضرورة أن تكون موجودة في الدين, لان هناك أديان ليست فيها فكرة الألوهية أصلا, مثل: البوذية.
- لكن الدكتور دراز يرفض بان نعرّف أي ظاهرةٍ بأنها دين, إذا لم تكن حاضرةً فيها فكرة الألوهية. وهو يرى أن مثل هذا النوع من الأديان, تسمّى أديان بالمعنى الاصطلاحي فقط, وإنما في حقيقتها: هي مذاهب أخلاقية وليست أديان.
- هنالك تعريفات غربية كثيرة للدين, نستعرض فيما يلي بعضٌ منها:
(سيسرون): "الدين هو الرابط الذي يصل الإنسان بالله".
(هاربر سبنسر): "الدين هو الإيمان بالحضور الفائق لشيءٍ غامضٍ وعصيٍّ على الفهم".
(ماكس مولر): "الدين كدحٌ لتصوّرِ مالا يمكن تصوّره, وقولُ مالا يمكن التعبير عنه, إنّه توقٌ إلى اللانهائي".
(رافائيل): "الدين هو إحساسٌ بالاتصال بين العقل الإنساني وعقلٍ خفيٍّ يتحكّم بالكون, وما ينجم عن ذلك من شعور بالغبطة".
(جيمس فريزر): "الدين عملية استرضاءٍ وطلبِ عونِ قوّة أعلى من الإنسان, يعتقد أنها تتحكّم بالطبيعة والحياة".
(إميل دوركايم): "مجموعة متساندة من الاعتقادات, والأعمال المتعلّقة بالأشياء المقدّسة, تضمّ أتباعها في وحدة معنوية تُسمى: الملّة".
(ميرتشيا إلياده): "الدين: تقسيمٌ للكون إلى مقدّس وعادي".
- مُجْمَل التعريفات الغربية تُركّز على أن الدين يتعلّق بالغيبيات وبالمقدّس.
- ربما يكون أجمع التعاريف الغربية التي ذكرناها هو تعريف (إيميل دوركايم). فهو يتحدّث عن الدين كعقيدة, وعن الدين كجماعة. أو عن الدين كروح, وعن الدين بعدما تتجسّد هذه الروح في حياة اجتماعية وفي مؤسسات.
- هنالك إشكالات في كل التعريفات التي ذكرنها. فأغلبها تعريفات معيارية لا وصفية, بمعنى أنها تحكم على الظاهرة ولا تصفها.

- أيضا, من الإشكالات في هذه التعريفات, هي أن بعضها لا يميّز بين الدين وبين الفلسفات الأخلاقية.
- الأفكار وحدها دون الشعائر والسلوك لا تسمى دينا بل تسمى فلسفة.
- لذلك قال العلّامة والشاعر والفيلسوف محمد إقبال: "إن الدين من غير قوّة: مجرّدُ فلسفة". أي أن الدين من غير أن يدفع الناس إلى العمل وينظّم حياتهم ويسوسها ويقودها, هو مجرد تأملات فلسفية.
- كثير من العلماء يرون أن الدين لا يكون دينا إذا لم يحتوِ على فكرة الألوهية. مثل: البوذية, فهي لا تعدو عن كونها فلسفة أخلاقية.
- بعد هذه الجولة في التعريفات, نعتقد أن أوجز وأبلغ التعريفات للدين, هي التعريفات التي قدّمها د. محمد عبدالله دراز في الجانب الإسلامي, والتعريفات التي قدّمها (إميل دور كايم) في الجانب الغربي.

• مكونات الظاهرة الدينية:-

- بنية الحد الأدنى لأي ظاهرة لكي تسمى دينا هو أن تشتمل على: عقيدة, وعبادة, وسردية كونية. (فراس السوّاح وغيره من العلمانيون يريدون أن يختزلوا الدين في هذه الأشياء الثلاثة, ولا يريدون أن يكون للدين شأن في الأخلاق والقوانين أو في السياسة. ولكن هذا الاختزال إذا صدق على بعض الديانات فهو لا يصدق على الدين الإسلامي بطبيعة الحال)
- بعض الديانات تشتمل على ما هو أكثر من ذلك, مثلا: المسيحية, فهي تحتوي على: عقيدة وعبادة وسردية كونية وأخلاق.
- بينما الإسلام: يشمل كل ما سبق إضافة للتشريعات والنظام الاجتماعي والسياسي والاقتصادي, فهو دين شامل لكل مناحي الحياة. كما قال تعالى: (ما فرّطنا في الكتاب من شيء), والقرآن بُعِثَ إلينا تبيانا لكل شيء, فلا يوجد مجال من مجالات الحياة إلا وللإسلام فيه قول.
- العنصر الأول من مكونات الظاهرة الدينية هو العقيدة, وهي كما عرّفها فراس السوّاح: "مجموعة أفكار متعلقة بالمقدسات".
- العقيدة هي أول أشكال التعبير الجماعي عن الدين. يبدأ الدين إيمان على مستوى الفرد, ثم إذا اجتمع ناس يجمعهم إيمان واحد يتحول إلى عقيدة, ويبدأ هؤلاء يميزون أنفسهم عن غيرهم من الكيانات البشرية.
- هناك اختلاف عند علماء الأديان في: هل الدين في الأصل اقتناع عقلي يتم شحنه وجدانيا؟ أم هو انفعال وجداني يتم تسويغه عقليا؟
- الذي ينسجم مع الرؤية الإسلامية,هو أن الدين اقتناع عقلي أولا, لكن هذا الاقتناع يحتاج إلى شحن عاطفي ووجداني دائم, وكلما أدمن المتدين على العبادة, كلما تغذى ذلك الاقتناع العقلي ونضج حتى أصبح أفكار من لحم ودم. وهذه هي فكرة (الإيمان يزيد وينقص), فزيادة الإيمان لا تعني زيادة في الاقتناع, ونقصان الإيمان لا يعني نقصا في الاقتناع. إنما زيادة الإيمان هو هذا الشحن العاطفي الوجداني للقناعة العقلية القائمة ونقصان الإيمان هو ذبول هذا الجانب الوجداني العاطفي من العقيدة الدينية.

- العنصر الثاني هو العبادة: هي نتاج للمعتقد وخادمة له. كما قلنا العبادة تغذي الاقتناع العقلي وتشحنه وجدانيا, فكلما زادت العبادة كلما تحوّل الاقتناع إلى شبه مشاهدة, وهذا الذي نتحدث عنه باصطلاح الإحسان, كما في الحديث الشريف (أن تعبد الله كأنك تراه). فصاحب الإحسان تجاوز الاقتناع العقلي إلى عين اليقين.
- هناك نمطان للعبادة: نمط حر, ونمط راتب.

النمط الراتب: هو العبادات التي لديها أوقات مخصوصة وهيئات مخصوصة. مثلا في الإسلام: خمس صلواتٍ في اليوم, صيام شهر رمضان, صيام عاشوراء, وصيام يوم عرفة.
أما النمط الحر: فهو العبادات المفتوحة التي ليس لها وقت. مثل ذكر الله عز وجل. (يميل الصوفية إلى النمط الحر, ويميل الفقهاء لعقليتهم القانونية إلى النمط الراتب المنظّم)

- العنصر الثالث هو السردية الكونية. والمقصود بالسردية الكونية, هو قصة ذات إيحاء ودلالة أزلية, تفسّر أصل الوجود ومغزى الحياة ومآلهما. هذه القصة مهمة جدا; لأن الدين في الأصل هو بحث عن معنى الوجود والحياة.
- قصيدة الطلاسم لإيليا أبو ماضي هي مثال على هذا البحث عن معنى الحياة, فيقول:

جئت لا أعرف من أين .. ولكنّي أتيت
ولقد أبصرت قدامي طريقا فمشيت ..
وسأبقى سائرا إن شئت هذا أم أبيت ..
كيف جئت؟ كيف أبصرت طريقي؟ لست أدري ..
وطريقي .. ما طريقي؟ أطويل أم قصير؟
هل أنا السائر بالدرب؟ أم الدرب يسير؟
أم كلانا سائر والدهر يجري؟
لست أدري .. ولماذا لست أدري؟ لست أدري
أتمنى أنني أدري .. ولكن لست أدري

- العلمانيون يسعون دائما إلى اختزال الدين في هذه العناصر الثلاثة, ويدعون أن لا يتدخل الدين في أخلاقهم ولا في التشريعات ولا في السياسة ولا في الشؤون العامة للمجتمع.
- هذه النظرة العلمانية فيها خلل كبير. أولا: هذه النظر تشطر الوجود الإنساني إلى شطرين متنافرين, شطرٌ يخضع للدين, وشطرٌ لا علاقة له بالدين. وهذا خطأ, لأنها تجعل الإنسان يعيش حياة مزدوجة. فيذهب إلى الكنيسة أو المسجد ثم يخرج ويفعل ما يشاء, وكأن الرب الذي كان يعبده ليس موجودا خارج هذه الجدران الضيقة.
- العلمانيون العرب في محاولة اختزالهم للدين في العقيدة والعبادة والسردية الكونية, ينطلقون من مسلمات ضمنية غربية حول تعريف الدين وماهية الدين. فيريدون أن يقسّموا العالم إلى مقدس وغير مقدس. ولكن الإسلام لا يريد هذا, وإنما يريد إخضاع العالم إلى تنظيمات إلهية.
- هؤلاء العلمانيون يعطلون الوظيفة الاجتماعية للدين, حينما يرفضون أن يكون القانون مستمدا من الدين. وهم يقعون في خطأ تاريخي جسيم عندما يقيسون التاريخ التشريعي

الإسلامي بالتاريخ التشريعي الغربي. كل المجتمعات الغربية الأوربية الغربية خضعت طيلة تاريخها للقانون الروماني ولم تخضع للقانون المسيحي, لأنه لا يوجد قانون مسيحي أصلا. فالمسيح عليه السلام لم يأت بقانون إنما جاء بعقيدة وعبادة وسردية كونية وأخلاق. فهم يقولون لابد أن نتخلى عن القوانين الدينية كما تخلى الغرب عنها. والغرب لم يتخل عن القوانين الدينية لأنه لم توجد فيه قوانين دينية. لذلك نحن نقول: (وقعتم في قياس مع الفارق).

- **إشكالات حول مفهوم الدين:-**

- الدين في التاريخ الغربي لم يكن قط محور هذا التاريخ, كان دائما على ضفافه. أما الدين في التاريخ الإسلامي فكان محور الحياة كلها, تشريعا وأخلاقا وسياسة واقتصادا وحتى الفنون, لذلك جاءت الفنون الإسلامية فنون تجريدية; لأن الدين أثر فيها تأثيرا عميقا.
- .كان الدين ولازال محور الحياة في مجتمعاتنا ولم يكن ولن يكن محور الحياة في المجتمعات الغربية.
- هنا يأتي السؤال في النقاش مع العلمانيين: هل الأخلاق والتشريعات من الدين؟
- المنظور العلماني يرى أن التشريعات والأخلاق ليست من جوهر الدين أصلا, وأن دمجهما في الدين هو ظاهرة متأخرة في التاريخ البشري.
- في المنظور الإسلامي, الأخلاق والتشريعات هي جزء من جوهر الدين, بل الأخلاق هي جوهر الدين بعد الإيمان, ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إنما بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق).
- ثم إن كمال الرسالة الإسلامية وختمها للرسالات يستلزم أن تشتمل على الأخلاق والتشريعات.
- كل الديانات السابقة للإسلام هي ديانات جزئية وظرفية.
- جزئية: معناه أنها تغطي جانبا واحدا من جوانب الحياة. وظرفية: معناه أنها تغطي حقبة واحدة من حقب الزمان والتاريخ, وليست ممتدة في الزمان إلى الأبد.
- كل الأنبياء الذين حدثنا الله عز وجل عنهم, مثلا في سورة الشعراء: نوح ثم هود ثم صالح ثم شعيب, كلهم دعوا قومهم إلى الإيمان بالله تعالى وطاعة الرسول, كلهم قال: (فاتقوا الله و أطيعون).
- بعد ذلك اختلف البرنامج العملي لكل منهم, كل منهم ركز على جزئية واحدة, لأنه جاء برسالة جزئية ظرفية. وليست رسالة خاتمة كاملة شاملة.
- الرسالة الإسلامية لا تختلف عن الديانات غير الإسلامية فقط, بل تختلف حتى عن الرسالات السماوية ورسالات الأنبياء السابقين, في كونها ليست جزئية ظرفية بل هي أبدية كاملة شاملة.
- لذلك الإسلام ليس مثل اليهودية في منزعها المادي, ولا المسيحية في منزعها الروحي, وإنما هو جمع بين الدين والمادة, فشَملَ العقيدة والعبادة والأخلاق والتشريع والقيم السياسية والاجتماعية والاقتصادية.
- لو نظرنا للديانة اليهودية مثلا, سنجد أن اليهودية هي منزع مادي محض, في الديانة اليهودية مثلا: لا يوجد إيمان بفكرة الخلود والجزاء الأخروي. فالوعد اليهودي وعد أرضي محض ليس فيه خلاص أخروي.

- حتى أنه في التاريخ والثقافة اليهودية تجلّت العبقرية اليهودية في العلوم البحتة والاقتصاد. ولذلك لاحظ المفكر الإسلامي العظيم علي عزت بيغوفيتش ملاحظة دقيقة من استقراء التاريخ اليهودي, فقال أن اليهود لم يسهموا في الثقافة الإنسانية ولكنهم أسهموا في الحضارة الإنسانية.
- لذلك تجد مثلا عظماء علماء الفيزياء في القرن العشرين يهودا, وتجد أعظم رجال الأعمال في العالم من اليهود, وهذا يرجع إلى جذور المنزع المادي المحض الموجود عند اليهود. ولكن هذا أدى إلى الازدواجية الأخلاقية وتحولها إلى جزء بنيوي من العقل اليهودي.
- لو نظرنا بالمقارنة للديانة المسيحية سنجد أنها منزع روحي محض. فالديانة المسيحية هي هروب من العالم ومن المسؤولية الاجتماعية, خصوصا بعدما انتهت إليه من ابتداع في الرهبانية.
- لو الإنسان قرأ الإنجيل قراءة متمعنة سيجد انعداما للروح العملية في الإنجيل.
- فالإنجيل هو دعوة للعطاء من غير أخذ, وإلى العفو من غير عدل. فالمسيح عليه السلام يقول (كما ينسب إليه في الإنجيل): "من لطمك على الخد الأيمن فأدر له الأيسر". جميل! ولكن هل تستطيع أن تبني مجتمعا إنسانيا على أساس هذه القاعدة؟ طبعا لا!
- أنت تحتاج إلى العفو وتحتاج إلى العدل, تحتاج إلى العطاء وتحتاج إلى الأخذ, فالحياة الإنسانية قائمة على توازن, والله عز وجل أنزل الميزان من أجل أن يقوم الناس بالقسط وتقوم الحياة على التوازن.
- ولذلك نجد في القرآن الكريم دعوة إلى العفو, ولكن العفو في الأخلاق الإسلامية يكون في الحقوق الشخصية, أما في الحقوق العامة فليس المطلوب العفو, بل المطلوب هو أخذ الحق وإقامة العدل.
- أنت لك أن تتنازل عن حقك الشخصي, بل هذا مطلوب منك في الأخلاق الإسلامية. ولكن الحق العام لا ينبغي التنازل عنه, فالتنازل عنه جبن وتخاذل وتخلٍّ عن المسؤولية.
- عندنا العفو بصيغة المفرد: (ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور). أما الانتصار على البغي فبصيغة الجمع: (والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون).
- الأخلاق الإسلامية متوازنة, ففيها العدل, وهو الحد الأدنى من العلاقات بين البشر, وهو رأس المال ثم بعد ذلك يأتي الربح, والربح في العفو والصفح والمسامحة وما إلى ذلك من قيم تفيض. والله عز وجل يقول: (إن الله يأمر بالعدل والإحسان).
- بعض الديانات حاولت التغلب على هذه المشكلة بشطر الحياة إلى شطرين, أو بوجود نظامين أخلاقيين مختلفين. في المسيحية مثلا, العزوب والعزلة للقساوسة, والزواج والخلطة للعامة.
- لكن شطر الحياة إلى شطرين هو ضد الفطرة الإنسانية ولذلك الإسلام يرفض ذلك.
- الإسلام دين شامل كامل وهو وسط بين المادية اليهودية والروحانية المسيحية.
- بدأ الإسلام تأملا في الغار ونزعة روحية محضة ثم تحول إلى دعوة وبلاغ ثم تحول إلى سياسة وجهاد. فلذلك هو بناء متكامل.

- علي عزت بيغوفيتش يقول: "بدأ الإسلام صوفيا, وأخذ يتطور حتى أصبح دولة". ويقول: "الإسلام نسخة من الإنسان, فيه تلك الومضة الإلهية, وفيه تعاليم عن الواقع". كما يقول أيضا: "القرآن كتاب واقعي, لا مكان فيه لأبطال الملاحم, وأن القرآن جمع بين واقعية العهد القديم, ومثالية العهد الجديد".

الأسبوع الثاني: أصل الدين ووظيفته

- في الأسبوع الماضي توقفنا عند عناصر الدين الإسلامي وما الذي يميزه عن الديانات الأخرى, وما الذي جعله رسالة خاتمة شاملة أزلية. فقلنا أن الدين الإسلامي ليس من ديانات الحد الأدنى, أي ليس من الديانات التي تنحصر في العقيدة والعبادة والسردية الكونية.
- فالإسلام ديانة شاملة, فيها: عقيدة, وعبادة, وسردية كونية, وأخلاق, وتشريع. وهو هوية وأخوة إيمانية ورابطة إنسانية, ويشمل نظاما سياسيا واجتماعيا واقتصاديا.
- لو نظرنا إلى التجربة النبوية, فسنجد أنه صلى الله عليه وسلم بدأ بما يشبه تأملا صوفيا في غار حراء, فبدأ الإسلام هكذا على مستوى الفرد. ثم بعد ذلك شكّل جماعة صغيرة, ولكنها لم تكن مهتمة بالنظام السياسي والنظام العام. ثم بعد ذلك عندما انتقل إلى المدينة وأصبح المسلمين غالبية, تطور التشريع الإسلامي إلى المجال العام.
- بدأ النبي صلى الله عليه وسلم أول ما بدأ, ببناء المسجد, لأن المسجد هو قلب المجتمع المؤمن. ثم أعلن المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار (البناء الاجتماعي). ثم بعد ذلك انتقل إلى كتابة دستور المدينة (البناء السياسي).
- فكان هنالك تطور من الفرد إلى الجماعة إلى المجتمع إلى الدولة, وهذا يدل على أن الإسلام نظام شامل لكل جوانب الحياة.
- يذكر الشاعر الفيلسوف محمد إقبال في كتاب (تجديد الفكر الديني في الإسلام), مقولة لطيفة لأحد شعراء الصوفية الأفغان, يقول فيها: "إن النبي صلى الله عليه وسلم عرج ليلة المعراج حتى بلغ السماء السابعة, ثم عاد إلى الأرض, ولو كنت أنا ما عدت إليها!". فيقول محمد إقبال: "هنا تجد الفرق بين الصوفي وبين النبي. المتصوف غايته هو الفناء, هو الخلاص الفردي, هو أن يعرج إلى السماء وأن يتخلص من روابط الأرض. بينما الأنبياء لديهم مسؤولية على الأرض, فكان لابد للنبي صلى الله عليه وسلم أن يعود إلى الأرض لأن الناس يحتاجونه على الأرض, فهو لا يحمل رسالة خلاص فردي فقط, وإنما يحمل رسالة خلاص للإنسانية كلها"
- بهذا المنظور كانت العقيدة الإسلامية ذات شُعَبٍ كثيرة, وهذا ما يسميه علماء المسلمين: شعب الإيمان. وهذا مستمد من الحديث النبوي: "الإيمان بضع وسبعون شعبة".
- فالإيمان بالمفهوم الإسلامي يشمل العمل, وهو يتشعب بكل شعاب الحياة ويغطي كل شعاب الحياة. وفي صحيح البخاري, كتب عمر بن عبدالعزيز إلى عدي بن عدي: "إن للإيمان فرائض وشرائع وحدودا وسننا, فمن استكملها استكمل الإيمان, ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان. فإن أعش فسأبينها لكم حتى تعملوا بها, وإن أمت فما أنا على صحبتكم بحريص". فعمر بن عبدالعزيز ينطلق من المفهوم الإسلامي الصحيح, وهو أن الدين ليس مجرد عقيدة وشعائر.

- **الدورة الدينية :-**

- الدورة الدينية تبين: كيف تنشأ الأديان؟ وكيف تتطور؟ وكيف تذبل مع الزمن (إذا لم تكن ديانات خالدة يحفظها الله)؟
- الدين يولّدُ روحا أخلاقية وإنسانية. ثم تتحول الروح إلى مؤسسة (يعني حضارة: مؤسسات وجيوش ومعابد وشرائع وقوانين إلخ). ثم مع الزمن هذه المؤسسات التي أنتجتها الروح الدينية تصبح عبئا على هذه الروح, فيحتاج البشر إلى تجديد ديني, إما بدين جديد وإما بعودة إلى أصول الدين القديم.
- بعد وجود الرسالة الخاتمة وهي الإسلام, ليس هنالك أمل في نزول رسالة جديدة من الله عز وجل, ولكن هنالك دائما أمل في التجديد الإسلامي والإصلاح.
- النبي صلى الله عليه وسلم تحدّث عن هذه الدورة الدينية حينما وصف رسالات الأنبياء السابقة بأنها مثل البناء, بناه الرجل فأحسنه وأجمله إلا لبنة في زاوية من زواياه, ثم في ختام الحديث يقول صلى الله عليه وسلم: "فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين".
- لذلك التجديد الذي نحتاجه اليوم في الرسالة الإسلامية, هو تجديد بإحياء معاني الرسالة, لا برسالة جديدة. بعض الناس يعبّر عنه بـ "الرجوع إلى الإسلام", ونحن نفضل التعبير عنه بـ "التقدّم إلى الإسلام". الله عز وجل يقول: (لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر). نحتاج أن نرتفع إلى مستوى المُثُل والقيم والمبادئ التي جاء بها الإسلام.

- **بين العنصر الأزلي والتاريخي:-**

- مفتاح التجديد في المجتمعات الإسلامية هو التمييز بين العنصر الأزلي في الإسلام والعنصر التاريخي.
- التجديد والاستمداد من منابع الدين الأصلية دون شوائب, يكون بالنظر النقدي والاجتهاد. فنحن ننظر إلى الرسالة الأصلية كما طبقها النبي صلى الله عليه وسلم, فنميّز بين ما هو وحي من حياة النبي صلى الله عليه وسلم وما ليس كذلك. وهذا الذي يعبر عنه علماء الأصول بأن أفعال النبي صلى الله عليه وسلم تتضمن: ما فعله جبلّة, وما فعله اجتهادا, وما فعله بلاغا, وما فعله فتوى, وما فعله سياسة, وما فعله عادة. فليست كل أفعال النبي صلى الله عليه وسلم سنة بمعنى أنها جزء من الوحي.
- لذلك أول خطوة هو أن نميز بين العنصر الخالد الذي جاء من عند الله عزّ وجل ليبقى, وبين الجوانب التاريخية البشرية في حياة النبي صلى الله عليه وسلم. فهو بشر رسول, ونحن نقتدي به باعتبار رسوليته لا باعتبار بشريته.

- **تطور الظاهرة الدينية:-**

- يقول عباس محمود العقاد في كتابه (الله جل جلاله): "الحقيقة الكبرى أكبر من أن تتجلى للناس كاملة في عصر واحد". بمعنى أن الله عزّ وجل لحكمته كان يراعي مستوى التطور العقلي والحضاري للبشر, فلذلك كانت الرسالات الأولى بسيطة, جزئية ظرفية, فلم يعطهم الرسالة الكاملة إلى في رسالة الإسلام وهي الرسالة الخاتمة. فحين جاءت الرسالة الخاتمة فهذا يعني أن البشرية وصلت إلى مرحلة من النضج العقلي والوجداني والحضاري, تستطيع من خلاله أن تتشرب وتطبق الرسالة الكاملة الشاملة.
- هناك نظرتان في مسألة تطور الظاهرة الدينية:

1. نظرة تقول إن الديانات بدأت ديانات بدائية شركية وثنية, ثم ظلت تتمحّص مع الزمن حسب تطور الثقافة البشرية والعقل البشري, حتى وصلت إلى التوحيد باعتباره أعلى وأرقى درجات الدين.
2. نظرة تقول أن التوحيد هو الأصل, وأن الشرك والبدع والخرافات -التي نشأت فيما بعد- هي نشأت على ضفاف التوحيد. فالتوحيد مثل النهر الجاري بالماء المعين, والبدع والشركيات مثل الأوساخ على ضفافه. (طبعا هذا هو الرأي المنسجم مع العقيدة الإسلامية)

- السائد في الدراسات الغربية للدين يقول أن الأديان بدأت بالتعدد, وهو تعدد الآلهة وتساويها. ثم بعد ذلك ظهر هنالك مبدأ الترجيح, وهو أن هنالك مجموعة آلهة وأنه يوجد إله أكبر, هو المسيطر على تلك الآلهة, وغيره من الآلهة هم وسطاء إليه (كما كان يقول وثنيوا الجزيرة العربية: "ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى"). ثم بعد ذلك جاء طور التوحيد, وهو رفض كل الشركاء والإيمان بالإله الواحد الذي لا شريك له.
- بشكل عام هنالك تطور في الظاهرة الدينية, والله عزّ وجل أراد بالبشرية خيرا حينما خاطبها برسالات ظرفية جزئية في البداية, لكي تتأهل لاستقبال الرسالة الخاتمة الشاملة.
- أما النظريات اللادينية في تفسير الدين, وهي النظريات الأكثر شيوعا في المجتمعات الغربية اليوم, فيمكن إجمالها في خمس نظريات.

1. **النظرية الأرواحية:** أن البشر بدأت حياتهم من غير أي دين ابتداء, وأنهم بدأوا بتقديس أرواح أسلافهم (نوع من تعلق الإنسان بالوالدين والأجداد), وأن لهؤلاء الأسلاف روحا لا تزال باقية. فتحوّل هذا مع الزمن إلى عبادة للأرواح. بعد ذلك عبادة الأرواح الجزئية تطور إلى إيمان بشيء من الروح الكلية, أن للكون كله روحا, وهكذا ..
2. **النظرية الطبيعية:** أن أسماء الآلهة أصلها أسماء لظواهر طبيعية, فالتأمل في الظواهر الطبيعية, مثل التأمل في الشمس والقمر والنجوم والانبهار بهذه الظواهر الطبيعية الجميلة, المهولة, التي يحس الإنسان بتضاؤله أمامها, هذا الاندهاش تحول مع الزمن إلى عبادة لها. (ولذلك جاء التوحيد ليذكّر الناس بالتخلي عن هذا: " لا تسجدوا للشمس ولا للقمر, واسجدوا لله الذي خلقهن").
   فالاعتقادات الدينية في النظرية الطبيعية, أصلها نوع من التعلق والانبهار الحسي والعاطفي بالظواهر الكونية الكبرى, تحول مع الزمن إلى عبادة.

3. **النظرية العاطفية:** وهي تقول أن منبع الدين عاطفتان: عاطفة الخوف من الموت, وعاطفة الطمع في الخلود. فخوفه من الموت جعله يبتكر نفسيا عالما آخر ما بعد الموت. وتعلّقه بالبقاء والخلود جعله أيضا يبتكر عالما ليبقى فيه بعد الموت. فهذه النظرية ترى أن الدين: صنعة إنسانية لتحقيق هذه الغايتين النفسيتين.
4. **النظرية النفسية:** وهذه النظرية دافع عنها فرويد (وهو رائد علم النفس التحليلي), وهو يفسر الدين بمزيج من نظريته المشهورة في التحليل النفسي فيقول: "إن اعتماد الطفل على والده وهو صبي صغير رضيع, يجعل قدرة الوالد تتضخم في ذهنه إلى قدرة لا محدودة. وكذلك الإنسانية في طفولتها, اعتقدت بوجود إله قادر بسبب حاجتها إليه". فإن الإنسان البدائي بسبب ضعفه أمام الطبيعة, وعدم قدرته على تطويع أي ظاهرة من ظواهر الطبيعة, ابتكر إلها متحكم بالطبيعة. فالدين بالنسبة لفرويد -وهو ملحد- مرحلة طفولية في حياة البشر, قد تجاوزتها البشرية بعد أن شبت عن الطور, ولم تعد تحتاج إلى أن تعتمد على أي قوة خارجية.

هذه نظرية تدل فقط على غرور الإنسان في القرن التاسع عشر, حينما ظنٍ العلماء أنهم يستطيعون أن يفسروا كل شيء بالعلم المعاصر, وأنهم حتى سيفكون لغز الحياة والموت, ولن يكون هناك حاجة للدين. ولكن هذه النظريات تجاوزها الزمن, فالعلم كما قال غاليو سوليفان: "أصبح أكثر تواضعا, وأقل تبجحا في القرن العشرين". فمهما بلغت قدرة الإنسان يظل تابعا وعاجزا.

قد تنمو روح الغرور لدى الإنسان, ولكن هذا يسمى غرورا, وليس تعبيرا عن قوة موضوعية. وقد ذكرنا القرآن الكريم بظاهرة غرور الإنسان بنفسه كلما أحس بالاستغناء: (إنّ الإنسان ليطغى, أن رآه استغنى, إنّ إلى ربك الرجعى) وهذه النظرية تعكس امتلاء الإنسان المعاصر بذاته, وهو أمر يصدق خصوصا على المجتمعات الغربية المزدهرة. وقد لاحظ ذلك الأستاذ مالك بن نبي, فقال: "إن الإنسان الغربي المعاصر ممتلئ بذاته, حتى لم تبق فيه مساحة للغيبيات".

5. **النظرية البراغماتية:** وهي التي دافع عنها وليام جيمس في كتابيه (إرادة الاعتقاد) و (أنماط التجربة الدينية). وهو يرى أن الدين حاجة اجتماعية للنوع البشري, يحتاجها لحفظ وجوده, وللعيش بتآخي وسلام, وإذا اتبعنا العقل المحض فكل منّا سيدافع عن مصلحته الذاتية, وبالتالي سيتفكك المجتمع جرّاء الأنانية بين البشر ولن تكون هنالك أخلاق.

فالدين بالنسبة لويليام جيمس وغيره ممن يتبنى هذه النظرية, هو مجرد حيلة نوعية. بمعنى أن الإنسان ابتكر الدين من أجل أن يبني نظاما أخلاقيا, يستطيع أن يتجاوز به أنانيته. فالدين صنعة أخلاقية بشرية, تساعد على التوازن بين مصلحة الفرد والمجتمع.

- **تفسيرات لأصل الدين:-**

- الأستاذ عباس محمود العقّاد في كتابه (الله جل جلاله) يناقش النظريات التي ذكرناها في الجزء السابق, التي ترجع في مجملها إلىٍ أن الدين يرجع إلى حاجة إنسانية, وأن الإنسان ابتكر الدين لإحساسه بالعجز أمام قوى الطبيعة.
والحقيقة أن هذا لا يفسر نشأة الدين -كما يقول العقّاد- , فالإنسان حتى وإن لم يكن متدينا فهو سيبقى ضعيفا في نهاية المطاف. يبقى الإنسان ضعيفا متدينا كان متدينا أم ليس متدينا, لأنه خلق ضعيفا.
- الأنبياء وحملة الرسِالات هم أقوى الناس عزيمة وأشدهم شكيمة –كما يقول العقّاد- . لو كان الدين هو مجرد تعبير نفسي عن ضعف الإنسان, لكان الضعاف فقط هم الذين يتدينون, ولما كان أقوياء النفوس متدينين, والأنبياء هم أقوى الناس نفوسا وأشدهم صلابة وعزيمة.
- الفطرة الدينية هي جزء من بنية الإنسان, وهي أعمق من أي مؤثر خارجي مُتَوَهّمْ. فكل النظريات الغربية في تفسير نشأة الدين التي استعرضناها, تنطلق من أن الدين جاء بسبب مؤثرات خارجية. بينما الحقيقة أن الفطرة الدينية هي جزء من تكوين الإنسان وخلقته, وهذا الذي يؤكد عليه القرآن الكريم, فالله عزّ وجل يقول: (فأقم وجهك للدين حنيفا, فطرة الله التي فطر الناس عليها, لا تبديل لخلق الله).
- للإمام ابن الجوزي نظرات جميلة حول الحياة الأخرى والجزاء, فيقول: "إن تعلّق الإنسان في هذه الحياة بما هو أجمل, وما هو أكمل, وما هو أمثل, وعدم رضاه بأي وضع يكون فيه, دليل على وجود حياة أخرى في الآخرة". فكأن النفس البشرية لا تقنع بشيء في هذه الدنيا, لأنها متعلقة بعالم آخر, حقيقي, تنجذب إليه بفطرتها وتكوينها.
وقد عبّر عن ذلك عمر بن عبدالعزيز, بقوله: "أوتيت نفسا توّاقة للمعالي. تاقت إلى الإمارة. فلما نالتها, تاقت إلى الخلافة. فلما نالتها, تاقت إلى الجنة".
- هذا الطموح والتعلق ليس مجرد حالة نفسية, أو تعبير عن ضعف, بقدر ما هو جزء من كينونة النفس والروح البشرية. فهي تتعلق بالرجوع إلى أصلها.
وقد عبّر عن ذلك ابن الجوزي - في كتاب (سيد الخاطر), وفي كتاب (اللطائف), وفي كتاب (المدهش), وفي عدد من كتبه, بلغته الشعرية الجميلة, فكان يقول مثلا: "الجنة إقطاعنا, وإنما خرجنا منها مسافرين". ويقول: "كان آدم إذا رأى الملائكة تصعد, حنّ إلى المرْتَع في المرْبَع".
- الإنسان مدفوع بالفطرة إلى التعلّق بذلك العالم الذي جاء منه, رغم أنه لا يعرف من أين جاء أصلا, إلا عن طريق الأنبياء.
- إضافة إلى التعلّق الوجداني الفطري الذي هو جزء من بنية النفس الإنسانية, فالدين هو اقتناع عقلي مبني على قوانين كونية منطقية.
- العقيدة الدينية/عقيدة التوحيد مبنية على قانونين من قوانين المنطق: قانون السببية, وقانون الغائية.
- قانون السببية: أن لكل مُسَبَّبٍ سببا (لكل فعل فاعل). فإذا قلنا نؤمن بقوانين تحكم هذا الكون, وأن لكل فعل سببا, وقد بنينا كل علومنا التطبيقية على أساس قانون السببية, فلماذا لا نؤمن أن لهذا الكون كله سببا؟

- قانون الغائية: أن لكل شيء غاية. فنحن نعرف من خلال استقراء جزئيات هذا الخلق, في أنفسنا, وفيما حولنا, وفي الآفاق التي نتأملها, أن لكل جزئيات هذا الخلق لها غايات. فمثلا: لماذا توجد العين؟ للنظر طبعا. لماذا العين موجودة في الوجه وليست موجودة في القدم مثلا؟ لأنها وظيفتها لا تتحقق إلى في هذا المكان. وهكذا ..
فلا يوجد شيء إلا وله غاية. وإذا قلنا أن كل جزء من أجزاء الجسد له غاية, فلماذا نقول أن الجسم بأكمله ليس له غاية؟ / أن الإنسان نفسه خلق من غير غاية؟
- إذن: قانون السببية وقانون الغائية - أهم قوانين المنطق – يفسران لنا أصل الدين من الناحية العقلية. أما التعلق الوجداني بالخلود فيفسر لنا أصل الدين من الناحية الروحية والوجدانية.
- الخلاصة أن الدين لا يمكن تفسيره تفسيرا لا دينيا, وإنما يكون تفسيره : هو جزء من خلق الله سبحانه وتعالى للإنسان. أنه خلقه كائنا متدينا, وزرع في نفسه وروحه نوازع البحث عن معنى حياته ووجوده, وجعل قلبه وروحه متعلقة بموطنه الأصلي الذي جاء منه, والذي يحن إلى الرجوع إليه.

• الإيمان وأثره في حياة البشر:-

- الدكتور محمد عبدالله دراز يقسم أنواع الإيمان إلى قسمين:
هنالك إيمان بالقيم الإنسانية, مجردة من فكرة الإلوهية والخالق والحساب والجزاء. وهذا النوع من الإيمان يدفع إلى المروءة والحياء. وهذا النوع مهم ومؤثر في حياة الإنسان. لكن هنالك نوع أهم, وهو الإيمان الديني بذات علوية مطلعة على السرائر.
- الفرق بين الإيمان بالقيم الإنسانية والإيمان بالقيم الدينية, هو أن الإيمان بالقيم الإنسانية: دافع خارجي, يدفع الإنسان إلى أن يسلك المسلك الصحيح أمام الناس, لكنه ليس رقيبا عليه إذا بقي منفردا بذاته.
أما الإيمان بذات علوية مطلعة على السرائر / الإيمان بالله تعالى, فهو يثمر نفوسا تخشى ربها بالغيب, لديها رقيب من ذاتها, فهي تسلك المسلك الصحيح مع الناس وبمفردها. وقد عبّر الحبيب صلى الله عليه وسلم عن ذلك تعبيرا بليغا بقوله: "إذا أراد الله بعبد خيرا, جعل له وازعا من نفسه, يأمره وينهاه". وهذا هو أعلى درجات السلوك الأخلاقي, وهو أن يكون الوازع من نفسك, بعيدا عن الحياء من الناس أو الخوف من السلطة والقانون.
- الإيمان بذات علوية أشد وطأة وأقوى أثرا على القلوب من الإيمان المجرد بالقيم الإنسانية. هنالك من آمن بالقيم الإنسانية, ولدينا في الشعر العربي كثير من القيم الجميلة التي كان يُلْتَزَمْ بها لمجرد الإيمان بالقيم الإنسانية, ولمجرد الالتزام بالصورة الذاتية (أي أنك بنيت صورة لذاتك, فلا تريد أن تسلك مسلكا يؤثر على هذه الصورة التي بنيتها في أذهان الناس وعيونهم) .
- السلوك الأخلاقي المطّرد الذي تلتزم به في كل أحوالك, هو السلوك النابع من إيمان بالغيب. ولذلك كان الدين كما يقول الدكتور محمد عبدالله دراز: "الدين يحل من الجماعات الإنسانية محل القلب من الجسد".

- **وظيفة الدين في المجتمع:-**

- هنالك ثلاث سلطات تسير سلوك الإنسان: سلطة الضمير, وسلطة المجتمع, وسلطة الدولة.
- سلطة الضمير هي أهم السلطات وأقواها, لأنها - كما ذكرنا في الفصل السابق – هي التي تسوق الإنسان, وتجعل سلوكه مطّردا, سواء كان مع الناس أم لم يكن معهم. فلا تسمح بأي نفاق في السلوك الإنساني.
- سلطة الضمير هي أعلى السلطات في التأثير على السلوك الإنساني, ولو أن الناس اتّبعوا سلطان الضمير لما احتاجوا إلى سلطة الدولة ولوفّروا عليهم الكثير, ولكن أغلب الناس لا يبذلون الجهد الكافي لتكييف حياتهم طبقا لسلطة الضمير, ولذلك احتجنا لسلطات أخرى. وقد لاحظ ذلك الشيخ الدكتور محمد عبدالله دراز رحمة الله عليه, فقال: "إن الإنسان يساق من باطنه لا من ظاهره". بمعنى أن سلطة الضمير أهم من سلطة المجتمع ومن سلطة الدولة, وعلينا أن ننمّي هذه السلطة.
- غاية الدين هي بناء سلطة الضمير أولا وقبل كل شيء. فالملتزم بالفضائل بناء على سلطة الدولة أو الخوف من الناس, يتملّص منها متى استطاع ذلك. بينما الذي يلتزم بالفضائل بناء على سلطة الضمير فهو لا يتملّص منها بأي حال, وهذا هو المستوى الأعلى الذي امتدحه الله عز وجل في قوله تعالى: "إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير".
- أخطأت النظرية الماركسية حينما فسرت العلاقة بين الفكر والواقع, واعتبرت أن الواقع هو الذي يؤثر في الفكر, وأن المادة هي التي تؤثر في الروح وفي الضمير. لأنه في الحقيقة, الضمير هو الذي يؤثر في الواقع, والفكر هو الذي يكيّف الواقع, وهنا تكمن أهمية سلطة الضمير.
- إذا فشلت سلطة الضمير, تأتي السلطة الثانية وهي سلطة المجتمع. فالمجتمع المؤمن يتآمر بالمعروف ويتناهى عن المنكر. فلذلك إذا انهارت دفاعات الفرد فمن المهم أن يكون هنالك سلطان المجتمع, أن يستحي هذا الفرد من المجتمع, لأن هنالك من سينكر عليه, وهنالك من سيعيبه. وهنا تتجلى أهمية الحياء كشعبه من شعب الإيمان, وخلق من أخلاق الإسلام, وفي الحديث: "الحياء كله خير". وأيضا: "إذا لم تستح فاصنع ما شئت".
- بعض الناس قد لا يخشى الله عز وجل, ولكنه يخشى الفضيحة والعار, فإذا انهارت سلطة الضمير, فإن سلطان المجتمع يكون رادعا له عن سلوكه الخاطئ.
- أما إذا انهارت سلطة الضمير وسلطة المجتمع, فلا يبقى أمامنا إلا سلطان الدولة والقانون. سلطان الدولة بمثابة الكي فهو آخر الدواء.
- أهمية الدين وقوته ووطأته وتأثيره في حياة الناس, هو أنه يبني سلطة الضمير. فيخفف من حاجتنا لسلطة المجتمع وسلطة الدولة, ولذلك كانت أرفع درجات الناس أخلاقيا هم الذين يخشون ربهم بالغيب.
- للدين وظائف كثيرة في حياتنا, منها وظائف فلسفية, ونفسية, واجتماعية, وسياسية.
- وظيفته الفلسفية هي إضفاء المعنى على الحياة الإنسانية وعلى الكون كله. فإن أول وأهم وظائف الدين هي أن يفسر لنا معنى وجودنا في هذه الحياة. (وهذه هي أهمية السردية الكونية في كل دين)

الدين أي دين, لا بد أن يتضمن إجابة على الأسئلة الوجودية الممضّة, التي تحرك وتلهب الضمائر الإنسانية, وتحيّر العقول الإنسانية على مدى العصور.

- الوظيفة النفسية للدين, هي أنه غذاء للنفس البشرية يملئها بالأمل, ويدفعها للعمل. فإذا فقد الإنسان الأمل, فقد كل معنى للوجود, وطحنه الهم والحزن ولم يستطع أن يفعل شيئا. ولذلك علمنا النبي صلى الله عليه وسلم أن نستعيذ بالله تعالى من الهم والحزن.
الدين كذلك ينمّي التوازن النفسي لدى الإنسان, وله تأثيرا كبير جدا على الصحة النفسية. فالمتدينون هم أقل الناس يأسا, وأقلهم تعرضا للأمراض النفسية. وقد برهنت الدراسات الحديثة على أثر الدين الإيجابي في هذا المجال.
- أما الوظائف الاجتماعية للدين فهي كبيرة جدا, ومنها بناء الوازع الأخلاقي الضامن للتعايش والتماسك الاجتماعي. فإذا لم يكن هنالك وازع داخلي أخلاقي, فإن الأنانية ستسود بين البشر وسيحرص كل منهم على مصلحته الذاتية على حساب الآخرين.
فالدين يعلمنا أننا إخوة, وأنه لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى, وأن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا (وشبّك الحبيب صلى الله عليه وسلم بين أصابعه). والدين يبني هوية جماعية, عبر بناء جسور من التوادّ والتعاطف والتراحم, وفي الحديث: "مَثَلُ المؤمنين في توادِّهم وتراحُمِهم وتعاطُفِهم، مَثَلُ الجسدِ إذا اشتكَى منه عضوٌ، تداعَى له سائرُ الجسدِ بالسَّهرِ والحُمَّى".
- أما الوظائف السياسية للدين, فمنها إضفاء القدسية الخُلُقية على قوانين الدولة. فالالتزام بقوانين الدولة قد يكون مجرد خوف من العقوبة, ولكن إذا كانت قوانين الدولة مستمدة من النظام الأخلاقي الديني الذي يؤمن به المجتمع, فإن الناس تلتزم بها التزاما نابعا من ذاتها, وليس خوفا من عقوبة خارجية. وهذه هي أعلى درجات الالتزام, ولذلك قال الدكتور دراز رحمة الله عليه: "ليس على وجه الأرض قوة, تكافئ قوة التدين أو تدانيها في كفالة احترام القانون". إذا أردت أن يحترم الناس القانون, فاجعل هذا القانون منسجما مع عقائد الناس, نابعا من تصوراتهم الدينية.
وهنا ندرك جانب التفريط والجهل, الذي اعتمدته النخب السياسية العلمانية في المجتمعات الإسلامية, حينما استمدّت القوانين من ثقافات مجتمعات أخرى, ونظام قيم مجتمعات أخرى, بدلا من استمدادها من التشريعات الإسلامية وجعلها منسجمة مع عقيدة الإنسان المسلم. بحيث يلتزم بها تدينا لله تعالى, لا خوفا من الدولة.
ولو أن هذه النخب التي حكمت دول ما بعد الاستعمار, استمدّت تشريعات دولنا من الشريعة الإسلامية, لأراحت نفسها وأراحت المجتمع, ولحرّرتنا من انشطار الذات, ولجعلت التزام الناس بالقانون قوي جدا.
فالذين يدعون إلى الفصل بين الدين والدولة وعدم الاستمداد من الشريعة الإسلامية, يرتكبون خطأ جسيما في حق مجتمعاتهم ودينهم. وقد أدرك ذلك فلاسفة السياسة حتى في الغرب. لذلك, (جاجا كروسو) وهو أعظم و أول منظّر للنظرية الديمقراطية الحديثة, دعا إلى ما سمّاه "دينا مدنيا", أي الحاجة إلى أن تكون القوانين المدنية قوانين دينية في نفس الوقت, وقال أن أعظم القوانين هي التي تكونين دينية ومدنية في الوقت ذاته, بمعنى أنها قوانين دولة ولكن نابعة من الدين, ولذلك يلتزم الناس بها التزاما ذاتيا. ونفس الشيء قاله الفيلسوف (هيجل) في كتابه (حياة يسوع) فدعا إلى "دين مدني" في أوروبا, أي دين منفصل عن المؤسسة الكنسية, وليس قائما على القهر, دين تستمد الدولة من قيمه نظامها القانوني.

الأسبوع الثالث: الدين والعلم والعقل

- **نور الوحي ونور العقل :-**

- من الثنائيات الكبرى التي واجهت كل الأديان, وأثارت العقل المسلم وأهاجته, وشطرت الذات المسلمة إلى شطرين أحيانا: مسألة العلاقة بين الدين والعقل, أو بين "العقل والنقل" بالاصطلاح الإسلامي.
- ظهر في الثقافة الإسلامية قديما وحديثا من أساء الظن بالعقل, ومن جاهر العقل العِداء, حتى غدت العقلانية عند بعض المدارس الإسلامية المعاصرة سُبّة! فأصبح وصف العقلانيين والعصرانيين مذمّة! رغم أن العقل ليس فيه ما يُذَمّ به, ولا مسوّغ للتقليل من شأنه. فقد جعله الله عزّ وجل مناط التكليف, وشرطا مسبقا لاستعداد الإنسان وإعداده لتقبّل رسالة الله عزّ وجل.
- هؤلاء الذين يسيئون الظن بالعقل ويجعلون العقلانية مذمّة, يتخلون طوعا عن عقولهم بمحض إرادتهم مع الأسف, وكأنما نسوا تساءل الشاعر عمر بن الوردي: "كيف يسعى في جنونٍ من عقل؟".
- هنالك أيضا في ثقافتنا الإسلامية قديما وحديثا من غالى في دور العقل وقدرته, وفي الثقة بالقدرة الذهنية البشرية. وكأن هؤلاء لا يدركون حدود العقل والعلم البشري, وأنه مهما علم الإنسان فهو جاهل, والأولى به أن يدعو الله عزّ وجل "ربّ زدني علما", وأن يزيده علمه تواضعا, لا أن يجعله أكثر تبجّحا.
- هذا الشطط في الجانبين في مسألة الدين والعقل, هو امتداد لشطط قديم ظهر في الثقافة الإسلامية. فقد ظهر في التاريخ الإسلامي شطط في المغالاة من دور العقل على أيدي المعتزلة والفلاسفة.
- فالمعتزلة في ثقتهم الزائدة في العقل البشري, ذهبوا إلى حد القول الضمني بنتيجة خطيرة جدا, وهي إمكان الاستغناء نظريا عن رسالات السماء.
- أما الذين حاولوا الكفكفة من غلواء المعتزلة وهم الأشاعرة, ودخلوا معهم في حرب عقلية, فقد حاولوا أن يحجّموا الجموح العقلي عند المعتزلة, ولكنهم وقعوا في داء التقليل من شأن العقل, والتشكيك في قوانين عقلية فطرها الله عزّ وجل في ذهن الإنسان وبنا عليها الكون (مثل قانون السببية). وأعتقد أنهم أضرّوا بالثقافة الإسلامية وبمسار البحث العلمي في الثقافة الإسلامية بسبب ردّة الفعل هذه.
- المشكلة في اعتقادي هي خطأ وضع العقل والنقل في تناقض. فمن الاختلال في التفكير أن نضع العقل والنقل نقيضين, وهذا أمر أدى إلى انشطار في الذات المؤمنة. وكان الأوْلى أن نعتبر العقل والوحي كلاهما نور, ومنحة من الله عزّ وجل, فهما نور على نور(السمع والعقل أو النقل والعقل), ولذلك قال تعالى على لسان أهل السعير: (لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير). فهم يلومون أنفسهم على التفريط في الوحي وفي العقل على حد سواء.
- إنّ العقل الفطري نعمة عظيمة من الله عزّ وجل, تُشكر ولا تُكفر, ولا ينبغي التقليل من شأنها.

والوحي نعمة عظيمة من الله عزّ وجل, تؤكد العقل الفطري وترسّخه, ولا ينبغي أيضا التنكّر لهذه النعمة العظيمة, التي أنزلها الله عزّ وجل هداية للعباد.

- الوحي مطهّر للعقل الفطري من أدران الشبهات والشهوات. والعقل الفطري معين على الوصول إلى الحق, ولكن مرآته تصاب أحيانا بصدأ وبأدران, فتحتاج إلى شاحذ من العقل, يشحذها ويصفيها وينقيها من هذه الشوائب.
- أشار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله عليه إلى هذا التكامل بين العقل الفطري والوحي الإلهي, فقال: "إن الله فطر عباده على الحق, والرسل بُعِثُوا بتكميل الفطرة وتقريرها, لا بتحويل الفطرة وتغييرها. وأمّا أعداء الرسل فيريدون أن يغيروا فطرة الله".
- الفطرة الدينية والقوانين العقلية الموجودة في النفس البشرية هي جزء من خلق الله عزّ وجل.

الوحي يأتي ليكمّل هذا الخلق ويرقّيه, حتى يتكامل الخلق والأمر, والله تعالى يقول: "ألا له الخلق والأمر", فالعقل يمثل الخلق, والوحي يمثل الأمر, فكليهما نعمة من الله عزّ وجل تكمّلان بعضهما البعض.

- الأستاذ الدكتور محمد عبدالله دراز تناول هذا الموضوع في كُتبه القيّمة, وأشار إلى أن العقل مبدأ مُنظّم لوجود الإنسان, وأن الحواس والغرائز مُبعثرة لوجود الإنسان. العقل هو قوانين تجعل الإنسان يركز, يعيش حياة واحدة, وِجْهَة واحدة, لا تتقطّع به السبل و تتنازعه الأهواء, ويصبح أمره فرطا. أما الغرائز والحواس فهي تشتّت الإنسان, فتحرمه الرؤية الكلية التي يحتاجها.
- لكن الدكتور دراز يميّز مابين العقل المجرّد والعقل المهتدي بالوحي. فيميّز بينهما بفروق ثلاثة:

الفرق الأول: هو أن العقل المجرّد من هداية الوحي, حقائقه حقائق باردة, دون إلزام لنا. بينما حقائق الوحي, معرفة حيّة, من لحم ودم, معرفة ملهبة للمشاعر, ملزمة بالانقياد.
الفرق الثاني: حقائق العقل المجرد منطوية محتكرة, وحقائق الوحي كريمة فيّاضة.
الفرق الثالث: حقائق العقل المجرّد حاصل جدٌّ إنسانيّ. بينما حقائق الوحي منحة ربّانية مجّانية. (ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان, ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا, وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم).

• قانون السببية وقانون الغائية :-

- عقيدة التوحيد مبنية على أساس عقلي, قبل أن تكون مبنية على أساس النقل. لأن الله غرز في بنية الإنسان قوانين منطقية تقوده إلى التوحيد, وتقوده للإيمان بالحياة الأخرى والجزاء, إذا هو أحسن استعمال هذه الأداة الفطرية التي منحه الله إياها.
- الدكتور محمد عبدالله دراز يقول: "إن عقيدة التوحيد ترجع إلى مبدأين مرتكزين في بدائهِ العقول, وهما قانونان: قانون السببية وقانون الغائية".
- عقيدة التوحيد مبنية على قانون السببية. وهو أحد قوانين المنطق التي لا يقوم أصل ولا أساس للحياة العقلية والعلمية بدونها.
- عقيدة خلود الروح والجزاء الأخروي قائمة على أساس قانون الغائية. وهو أيضا من قوانين المنطق التي تدل عليها بنية هذا الكون وخلقه.

- فهذان القانونان إذا فُهِما فَهْمَاً صحيحا, فإنهما سيقودان الإنسان إلى الإيمان بوحدانية الله وبالحياة الأخرى والجزاء.
- أما عقائد الشرك والوثنية والدَّهْرِيّة والقول بأن الإنسان يموت ولا يحيا, كما كان يقول كفار قريش: "إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر", هذا النمط من التفكير سببه هو الكسل العقلي, والتخلّي عن استعمال قوانين العقل الفطرية, ومنها السببية والغائية.
- بناء على قانوني السببية والغائية, فإن وجود الخالق سبحانه, ووجود الحياة الأخرى والجزاء, ضرورتان منطقيتان لا مناص من التسليم بهما.
- هنا نجد العلاقة الوثيقة بين النقل والعقل / أو بين الوحي والعقل, فإن الدين الحق مبني على قوانين العقل, والحق لا يناقض حقًّا أبدا.
- إذا أساء بعض الناس الظن بالدين الحق باسم النظر العقلي, فلا يكون ذلك إلا بأحد سببين: إمّا لقصور أفقهم العقلي وكسلهم العقلي وعدم تحاكمهم إلى قوانين العقل والمنطق. أو لأن ما اطّلعوا عليه من أديان, صنعة بشرية مهترئة, لا تقوم لها قائمة أمام حجج العقل والعلم.

• قانون السببية:-

- خلاصة قانون السببية: أنه لاشيء من الممكنات يحدث بنفسه من غير سبب.
- قانون السببية: قانون عقلي محض, تصدّقه كل شواهد عالم الشهادة الذي نراه بين أعيننا, وهو ينطبق أيضا على عالم الغيب.
- حتى الذين يشككون في قانون السببية, يشككون فيه من خلال استعمال قانون السببية نفسه. فتجد فيلسوفا سفسطائيا يقول: "أنا لا أؤمن بقانون السببية, لأن .. ". إذا قال: "لأن", فهو قد علّل, وبالتالي قد رجع إلى قانون السببية من حيث لم يعلم.
- لو أخذنا بقانون السببية, فلا مفرّ من أن نصل إلى الإيمان بوجود الخالق سبحانه وتعالى. لأنه إذا كان لكل شيء سببا في جزئيات الحياة التي أمامنا, فلا شك أن هذه الحياة في مجملها لها سبب, فما ينطبق على الجزء ينطبق على الكل من باب أولى.
- لا يمكن الاستمرار في قانون السببية إلى ما لا نهاية, لأن ذلك يقود إلى ما يسمّى الدور والتسلسل. إنما في نقطة معينة, لا بد أن نصل إلى سبب الأسباب / المسبب الأول الذي لا سبب له, وليس بحاجة إلى سبب, وهو الله سبحانه وتعالى.

• قانون الغائية:-

- قانون الغائية يدل على أن هذا الكون الجميل المنسّق له غاية.
- فجزيئات هذا الخلق أمامنا كلها تدلّ على أن له غاية, فالعين للإبصار, والأذن للسمع وهكذا. فإذا كانت هذه الجزئيات كلها لها غايات واضحة, فهل من المنطق أن نفترض أن هذا الكون كله أو أن هذا الإنسان في كليّته ليس له غاية؟
- قانون الغائية الذي نراه بالاستقراء في جزئيات الخلق, يدلّنا عقلا على أن هذا الخلق في كليّته له غاية. فلم يخلقه الله عز وجل عبثا ولا سدى, ولذلك قال الله عزّ وجل: "وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا". وقال عزّ وجل: "وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين". وقوله عزّ وجل: "أيحسب الإنسان أن يترك سدى". وقوله تعالى: "أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا".

- لم يخلق الله عزّ وجل هذا الكون عبثاً ولا سدىً ولا لعباً ولا باطلا, وهذا هو قانون الغائية.
- لذلك يقودنا مبدأ الغائية - وهو أحد مبادئ المنطق - إلى لإيمان بالحياة الأخرى والجزاء. وأن الله لم يخلقنا لمجرد أن نحيا ونستمتع بالحياة ونموت, وإنما خلقنا للبقاء لا للفناء.
وقد أحسن الشاعر المعرّي في التعبير عن ذلك:
خُلِقَ الناس للبقاء, فَضَلّت .. أمةُ يحسبونهم للنفادِ
إنما يُنقَلون من دار أعمال .. إلى دار شِقَوةٍ أو رشادِ
- الله عز وجل خلق الإنسان ليبقى, لأن الله خلقه لغاية. وهذه الغاية طبعا هي أن يعبد الله عزّ وجل, وأن يسعى لمراتب الكمال, ثم أن يُحَاسَب ويعيش حياة أبديّة حسب ما مهّد لنفسه في هذه الحياة.

• أنماط الصراع بين الدين والعقل:-

- ليس في الإسلام تناقض بين العقل والنقل, إلا في أذهان من كلّت عقولهم, أو ضَعُفت نقولهم (سواء من حيث الثبوت أو من حيث التأويل).
- فإذا وجدت هذا التناقض, فليس هو تناقض بين حقٍّ وحق, فالحق لا يناقض حقّا أبدا.
- لذلك توصل الشيخ ابن تيمية في منهاج السنة إلى أن: "كل ضلالة فهي مخالفة للعقل, كما هي مخالفة للشرع". و في مجموع الفتاوى يقول: "كل طريق تتضمن ما يخالف السنة, فإنها باطلة في العقل كما هي مخالفة للشرع".
- فكل ما خالف الشرع, هو مخالف للعقل. وكل ما خالف العقل, هو مخالف للشرع.
- لكن, لابد من التأكد من أن هذا مبني على أساس شرعي سليم, و أن هذا مبني على أساس عقلي رصين.
- قضية العقل والنقل امتدت إلى العصر الحديث, تحت عنوان جديد وهو مسألة العلم والدين.
- إلا أن ثنائية العقل والنقل, مرتبطة بآليات العقل, بينما الإشكالية الجديدة مرتبطة بثمرات العقل.
- قديما, كان الصراع بين العقل والنقل هو حول الآليات: هل آليات العقل سليمة؟ هل يمكن أن نعتمد عليها للوصول إلى الحق؟. بينما الإشكال الجديد هو: هل ثمرات العقل - وهي العلوم والمكتشفات العلمية – أظهرت صدق الدين أم بطلانه؟ وأي الأديان؟ هل هي برهنت على بطلان دين وصحة الآخر؟ وهكذا ..
- فالإشكال الحديث: هو التوفيق بين ثمرات العقل وما توصل إليه العلم وبين حقائق الدين.
- من أسباب وجود هذه الإشكالية في الثقافة المعاصرة, اتّساع نطاق المعرفة العلمية في العصر الحديث, اتّساعا لم تشهده البشرية من قبل.
- فأصبح الإنسان المعاصر ممتلئا بذاته كما لاحظ الأستاذ مالك بن نبي, عندما قال: "إن الإنسان الغربي المعاصر ممتلئا بذاته, فلذلك لم يعد في ذاته مساحة للغيبيات". وهذه ظاهرة إنسانية قديمة بيّنها لنا القرآن الكريم, في سورة من أولى سور القرآن الكريم نزولا, حينما قال تعالى: (إن الإنسان ليطغى, أن رآه استغنى).

- إحساس الإنسان بالامتلاء والاكتفاء وأنه ليس بحاجة إلى خالق أو إلى غيبيات أو حياة أخرى, هذا رفض نفسي وليس رفضا منطقيا للدين. لذا فهي مسألة استكبار وليست مسألة جدّ عقلي.

- كما أن من أسباب الصراع بين العلم وكثير من الأديان اليوم: هو أن التقدم العلمي أظهر العديد من جوانب الضعف في عدد من الأديان القديمة, حينما برهن على تهافت منطقها, وتناقض تصورها لبنية الكون, مع بدائه العلم وثمراته.
فنحن نعرف أن الصراع بدأ في السياق المسيحي, حينما اكتشف (جاليلو) أن الأرض ليست مركز الكون, وأن الشمس هي مركز المجرّة وأن الأرض تدور حول الشمس. فلأن هذا التصوّر كان ضد التصور المسيحي للكون المادي (كما فسره الباباوات والكرادلة ورجال الدين المسيحيين في عصر جاليلو), بدأ الصراع بين العلم والدين وانتهى بإحراق (جاليلو) بسطوة الكنيسة.
- لذلك, الصراع بين العلم والدين في العصر الحديث, جانبٌ منه نفسي (يتعلّق بإحساس الإنسان المعاصر بالامتلاء والاكتفاء), وجانبٌ منه موضوعي (يتعلّق بتناقض حقائق العلم مع نصوص بعض الأديان).
- الدكتور دراز يعتقد أن هنالك ثلاثة أنواع من الصراعات بين العلم والدين:
1. صراعٌ صوري, يُستغل في اسم العلم أو اسم الدين ليكون ستارا لمقاصد خفيّة ومطامح لدى السلطة الدينية أو لدى السلطة السياسية والعلمية. مطامح تتعلق بالنفوذ والثروة والجاه وغير ذلك من المصالح العاجلة. فحينما عارضت الكنيسة رؤى بعض العلماء لم تعارضها فقط لأنها تعارضت مع فهمها وتفسيرها للكتاب المقدس, وإنما أيضا لأن هذه الرؤى تحرّر الناس من سلطة الكنيسة السياسية والاجتماعية والفكرية.
2. صراعٌ بين النزعات الروحية والمادية في الثقافة البشرية عموما. وهذا النوع من الصراع هو صراع مستمر وأزلي, فبعض الناس يغلب على تفكيره الجانب المادي الوضعي, وبعض الناس يغلب على تفكيره الجانب الروحي التأمّلي. وما بين نزعة تجريبية في شخصية إنسان ونزعة تأمّلية في شخصية آخر, يوجد هذا الصراع, وهو جزء من بنية الثقافة الإنسانية.
3. صراعٌ يكون بحسن نية. وذلك حينما يكذّب بعض رجال الدين حقائق علمية لم يستوعبوها, أو يكذب رجال العلم حقائق دينية لم يستوعبوها.
- الصراع الأول الذي يُستغلّ فيه اسم الدين أو العلم, هو مشكلة أخلاقية وليست فكرية.
- الصراع الثاني, الذي هو بين النزعات المادية والتأملية, فهو صراع مستحيل الحل, لأنه جزء من بنية الثقافة الإنسانية.
- الصراع الثالث وهو الصراع الفكري النزيه, فهو سعي من الطرفين إلى الحق ولكن يقع سوء تفاهم بسبب عدم بحث الطرفين عن أرضية مشتركة.
- الغرور الفكري لدى رجال العلم أو رجال الدين, وتجاوز أحد الطرفين لحدوده, يقود أحيانا لهذا الصراع. وهنالك أمثلة تاريخية, في تاريخ الكنيسة مثلا حينما تسلطت على رجال العلم مثل (جاليلو), وأيضا في تاريخ العلم حينما تبجّح بعض الفلاسفة الوضعيين مثل (أوغست

كونت) و (فرويد) واعتبروا أن الدين هو مجرد جزء من طفولة البشرية انتهى ولم يعد له مكان في عصر العلم.

- (فرويد) و (أوغست كونت) يمثلان الغرور العلمي, أما صراع الكنيسة مع رجال العلم فهو غرور ديني. فلابد من التحرر من هذا الغرور, و أن يتواضع الطرفان ليصلوا إلى الحقيقة المشتركة.

- **ضرورة التفاهم وحسن الجوار:-**

- تحدثنا عن الغرور من قبل رجال العلم ورجال الدين, ولكن هذا الغرور وإن كان مقبولا في التاريخ المسيحي, إلا أنه مرفوض تماما في الإسلام.
- في القرن العشرين كما ذكرنا سابقا, أصبح العلم أكثر تواضعا وأقل تبجحا, وبدأ هنالك تقارب بين العلم والدين, وكان الإسلام هو أكبر المستفيدين, بحكم أنه رسالة إلهية لا تزال طريّة سليمة من عبث البشر بها.
- من الأمور المهمة في العلاقة بين الدين والعلم, والتي نحتاجها لكي لا نقع في الأخطاء التي وقع فيها السالفون, سواء من جانب الدين أو جانب العلم, هو أن نعرف الإختلاف بين الدين والعلم في الموضوع وفي الغاية.
- غاية الدين هي معرفة الخالق سبحانه واستمداد الهداية منه, فليست غاية الدين هي الكشف لنا عن الحقائق المادية للكون. فهي وظيفة اعتقادية أخلاقية.
- أما غاية العلم التجريدي فهي اكتشاف الكون وتسخيره للإنسان. والاكتشاف هي مسألة حيادية, فإذا اكتشفت أن هذه المادة سامة مثلا, فهذا لا يتضمن حُكْمَاً أخلاقيا, لا يتضمن استعمال هذه المادة في العلاج ولا استعمالها في القتل, فبالنسبة للعالِم المُكتشف هي مجرّد اكتشاف و حقيقة باردة حيادية.
- الصراع بين الدين والعلم أضر بحياة البشر, وأبعد كثيرين عن الدين في العصر الحديث. وهذا أمرٌ متوقع في تاريخ بعض الأديان التي حُرّفَت نصوصها, وأصبح من المستحيل بأي قانون من قوانين التأويل, أن تنسجم مع وقائع وحقائق العلم.
- المطلوب اليوم, هو أن لا نَنْجرّ نحن في هذا السياق التاريخي, فالإسلام له خصوصيته, وأهمها أنه رسالة لم تعبث بها أيدي البشر.
- لذلك, هنالك حاجة إلى ما أسماه الدكتور دراز بـ "التفاهم وحسن الجوار" بين العلم والدين. لكي يستفيد كل منهما من الآخر, مع معرفة اختلاف الموضوع والغاية بين العلم والدين كما أسلفنا.
- الثمرة التي يجنيها الدين من التفاهم مع العلم, هي أن العلم بما يحويه من اكتشاف لعالم الشهادة, يمهّد العقل للإيمان بعالم الغيب.

لمّا نكتشف عالم الشهادة, ونرى دقة هذه الصَنْعة, واتّساق هذا الكون وجماله, كل هذا دافع لنا للإيمان بالخالق. لا الإيمان بوجود الخالق فحسب, بل الإيمان أن هذا الخالق عليمٌ وحكيمٌ ولطيفٌ وخبير.

- من الثمار التي يجنيها الدين من العلم أيضا, التمتع بما يبثه التطور العلمي من مناخ عقلي صحيح, يطرد أوهام الخرافة, ويمحّص أنماط العقائد.
- التطور العلمي هو تطور عقلي في نفس الوقت, فلما اعتاد الإنسان على المنهج التجريبي, بدأ يؤمن بقانون السببية وبدأ يطرد الخرافات والأساطير من ذهنه. فبدأ يتخلّى عن الديانات

الخرافية كلها, ولذلك انحسرت الوثنية مع اتّساع مساحة العلم في العصر الحديث. حتّى الديانات التي كانت وثنية في التاريخ, بدأ أهلها يتبرأون من الوثنية, ويحاولون أن يُضْفُوا عليها طابعا توحيديا, ومنها الديانة البوذية والديانة الهندوسية.

- هذا التطور العلمي, الطارد لأوهام الخرافة, الممحّص لأنماط العقائد, مفيد جدا لدين التوحيد; لأنه يهدم الأديان الوثنية ويمهّد لدين التوحيد.
- أما العلم فيجني الكثير من التصالح مع الدين الحق. فالدين الحق يكمّل نقص العلم, ويوسّع الأُفُق النظري الإنساني فيما وراء الكون المادي.
- الإنسان الذي لا يتسع أفقه لما وراء الكون المادي, هو إنسان محدود الأُفُق. فهو إنسان يعيش ليومه, وليس لديه رؤية ولا مستقبل.
- إذا آمن الإنسان بالتوحيد وبالحياة الأخرى والجزاء, اتّسع أُفُقه, وأصبح يفكّر في نطاق الأبدية, لا في نطاق اللحظة الحاضرة.
- لذلك, فإن من الخسارة الكبرى, الوقوع في الإلحاد. فالإلحاد يجعل الناس لا أفق لهم, لأنهم وضعوا أنفسهم في زاوية ضيقة من الحياة المادية, ولم يفكّروا بالعقل الواعي الطليق. وهذا يترتب عليه أمور كثيرة, ليست أمور فكرية فقط وهو ضيق الأفق, وإنما أيضا أمور أخلاقية.
- الإيمان بالله عز وجل ليس ضرورة منطقية فقط, وإنما ضرورة أخلاقية أيضا. فكم من ظالم لم ينلْ جزاءه في الدنيا, وكم من مُحْسنٍ أيضا لم ينلْ جزاءه في الدنيا. فهذا يجعل من الواجب الأخلاقي منطقيا أن توجد حياة أخرى وجزاء ليتحقّق العدل.
- الذي يتتبّع المنهج التجريبي ويقفْ عند حدوده, هو عالِمٌ قاده علمه إلى جهل. وصاحب نورٍ يسير في الدياجير من غير أن يستعمل ذلك النور ليوصله إلى الغاية.

• الخلاصة عن الدين والعلم والدين والعقل:-

- الإسلام دين العقل, ليس فيه ما يناقض العقل, وإن كان فيه ما هو وراء العقل وفوق العقل بطبيعة الحال.
- الإسلام دين العلم, ليس فيه ما يناقض العلم, وإن كان فيه أُفُق أوسع بكثير من الحياة العلمية التجريبية.
- الدين الحق لا يناقض حقّاً أبدا. سواء أكان حقًّا عقليّاً أم حقّاً علميّاً.
- من المصلحة للعلم والدين أن يكون بينهما تفاهم وحسن جوار, على أساس معرفة موضوع كل منهما واختلافه عن موضوع الآخر, وعلى أساس أن كل منهما إثراء للذات البشرية وللروح الإنسانية.

الأسبوع الرابع: الألوهية والوحي والنبوات

- **الألوهية أساس كل الديانات:-**

- رأينا من قبل في تعريف الدين, أن تعريف أيّ ظاهرة بأنها دين, من غير وجود فكرة الألوهية, أمْرٌ صعْبٌ قَبوله. ورأينا الجدل بين العلماء حول اعتبار بعض الديانات دياناتً, مثل البوذية, لأنها لا تشتمل على فكرة واضحة عن الإله الخالق.
- والذي نميل إليه وشرحناه, هو أنه من غير فكرة الألوهية, لا يمكن أن نسمي الظاهرة ديناً. وإنما يمكن أن نسميها قانوناً أخلاقياً لا أكثر.
- فكرة الخالق وما يريده من الخلق, هي أساس الأديان كلها. فجوهر كل دين, هو أن يعرّفنا على الخالق وعن مُراد الخالق.
باصطلاح علماء الإسلام, الشطر الأول هو توحيد الربوبية (المعرّف بأن لهذا الكون خالقا), والشطر الثاني هو توحيد الألوهية (المعرّف بمُراد الخالق من الخلق وبأنه مستحق للعبادة).
- تتفق ديانات التوحيد وديانات الشرك, حول فكرة الألوهية, كفكرة مجرّدة. لكنها تختلف في العدد والصفة.
- في الديانات التوحيدية, الإله واحد. أما في ديانات الشرك, فهناك أكثر من إله.
- من الملاحظات المتعلّقة أيضا بفكرة الألوهية, هو أن بعض الديانات أوغلت في التجريد, في تصوّرها للألوهية, حتّى جردت الخالق من رعاية خلقه. وفكرتها عن الإله ليس فيها أي نوع من مُراد الله من خلقه. فكأنه كما كان يقول بعض فلاسفة اليونان: أن الله خلق العالم وتركه! أي خلْقه وتركه يسير على قوانينه الخاصة ومن غير مراد واضح ومُحدّد من الخلْق!
- هذا النوع من التجريد لا يتفق مع ديانات التوحيد التي قامت على أساس رسالة واضحة, تبيّن مراد الخالق من خلقه.
- بعض الديانات أوغلت في التجسيد, حتى خلطت الخالق مع المخلوق.
- الديانات التي أوغلت في التجريد, أبعدت الخالق عن الخلق حتى قطعت الصلة بينهما. بينما التي أوغلت في التجسيد, قرّبت الخالق من الخلق, حتى دمجت بينهما. (فيما نسميه في الفلسفة بنظرية الحلول ونظرية الإتحاد, وهي نظريات إلحادية قد تسرّب بعضها للثقافة الإسلامية عبر الديانات والفلسفات الشرقية)
- لكن في الدين الواحد, قد يختلف الناس في مستوى التجريد والتجسيد, وهو ما يُعرّف في التراث الإسلامي بـ "التشبيه والتنزيه".
- فبعض المدارس الإسلامية نحت منحىً تنزيهي للخالق سبحانه وتعالى, وأوغلت في ذلك حتى عطّلت بعض الصفات. وهذا معروف عند المعتزلة, وكلّ جدل أهل السنة مع المعتزلة ينصبُّ حول هذه المسألة. لأن المعتزلة أوغلوا في التجريد في تأويل تلك الصفات.

ف المقابل, بعض المدارس لم تقبل التأويل, ووقفت في وجه التأويل موقفا متشددا, حتى ما كان يتسع له لسان العرب. حتى قاربت التشبيه على عكس المعتزلة. ونجد هذا عند بعض العلماء, مثل: القاضي أبي يعلى, في كتاب (إبطال التأويلات), وبعض العلماء الذين أُتُّهموا بالميل إلى تشبيه الخالق بالخلق, بسبب ردة فعلهم المغالية على غلوا المعتزلة في التنزيه.

- فكرة الألوهية هي أساس الأديان, وما يريده الخالق من خلقه هو أساس الديانات التوحيدية.
- إن كانت ديانات التوحيد والشرك تتفق على وجود الإله, فإنها تختلف على العدد والصفة. كما يمكن أن تكون هناك اختلافات أيضا في داخل الدين الواحد, حول تصورها للخالق سبحانه.

• أنماط الأديان في نظرتها للألوهية:-

- النمط الأول, أديان الشرك. وهي التي تقول بتعدّد الآلهة وتساويها في القدرة والإرادة. وهذا موجود في كثير من الديانات الوثنية القديمة.
- النمط الثاني, ديانات التسلسل الهرمي. وهي ديانات شركية, لكنها تؤمن بوجود إله أعلى من الآلهة الأخرى, فهو رأس الآلهة والمتحكّم فيها. وهذا أيضا نوع من الوثنية, ولكنها وثنية في طريقها إلى التوحيد. لأنها تميز بين الإله الأكبر, وبين الآلهة التي حسبوا أنها ستكون وسائط بينهم وبين الإله الأكبر. وقد نجد أثر من هذا في تراث العرب قبل الإسلام, وقد سجّله لنا القرآن الكريم, في قولهم: (ما نعبدهم إلا ليقرّبونا إلى الله زلفى).
- النمط الثالث, هو أديان التوحيد. وهي الأديان التي تؤمن بالإله الواحد الذي لا شريك له.
- التوحيد المحض لم يعد موجودا اليوم في أي دين, سوى في دين الإسلام. لكننا في دراسة الأديان نسمي اليهودية والمسيحية ديانات توحيدية تجوّزا, ونضعها مع الإسلام ضمن خانة الديانات التوحيدية, مقابل الديانات الشرقية والوثنية, وذلك باعتبار ما كان وليس باعتبار ما هو كائن.
- السؤال: هل الأصل هو الشرك, وقد تطور الفكر البشري إلى التوحيد, باعتباره أرقى درجة من درجات الاعتقاد الديني؟ أم أن التوحيد هو الأصل, والشرك نبت على ضفافه, من البدع والخرافات والأساطير والثقافات المحلية التي امتزجت بالرسالات السماوية.
- فلاسفة الأديان الغرب يختلفون حول هذا الموضوع. فالفيلسوف الإنجليزي (ديفيد هيوم), يميل إلى أن الأصل هو الشرك, ويرى أن الأصل هو الشرك, وأن التوحيد نبع من هذه الديانات الشركية بعد تصفيتها وتنقيتها, وبعد التطور العقلي والعلمي للبشر, والذي جعلهم لا يقبلون منطقيا باستمرار الإيمان بتعدد الآلهة.
- هنالك من فلاسفة الغرب, مثل (أوتو) مؤلف الكتاب الشهير "فكرة المقدّس", من يرى أن التوحيد هو الأصل , وأن تعدِّد الآلهة في الأديان, هو فسادٌ طارئ عليها. وهذا هو ما ينسجم مع الرؤية الإسلامية بطبيعة الحال.

• الألوهية في الديانات التوحيدية:-

- كما ذكرنا سابقا الديانات التوحيدية هو مصطلح يستعمل تجوّزا لوصف اليهودية والمسيحية والإسلام. ودخلت اليهودية والمسيحية تحت هذا المصطلح باعتبار ما كان وباعتبار الأصل, لا باعتبار ما هو كائن وما هو الحال اليوم في هاتين الديانتين.

- **الألوهية في الديانة اليهودية:-**

- مفهوم الإله في الديانة اليهودية, هو أنّه إلهٌ قوميٌّ حصريٌّ عنصري, فهو إلهٌ لبني إسرائيل وليس إلهاً لكل البشر. ليس ربّ العالمين الذي نؤمن به في الإسلام, وإنما هو ربٌّ إسرائيل.
- هذه طبعا ليست رسالة موسى عليه السلام, فموسى عليه السلام شأنه شأن بقية الرسل الذين جاؤوا لدعوة الناس لتوحيد الله رب العالمين وخالق الكون و قيّومه.
- الأسباب لهذا المفهوم هي أسباب تاريخية في الأساس, فالديانة اليهودية من سماتها أنها ديانة تاريخية بامتياز, بمعنى أنها تطوّرت عبر الزمن, تطوّراً كبيراً أثّر على جوهرها تأثيرا عميقاً. وكان من أهم أسباب هذا التأثّر, هو أنّ اليهود تم استعبادهم من أمم كثيرة, فتأثّروا بالديانات المصرية والكنعانية, وتأثّروا خصوصا بالديانات البابلية أيام السبي البابلي, ففي تلك الفترة, تشرّبت الديانة اليهودية الكثير من الديانات الفارسية القديمة.
- هذا الإله القومي, أنتج تطفيفاً أخلاقياً مزمناً في الثقافة اليهودية.
- ربما تكون الثقافة اليهودية هي أشد الثقافات تطفيفاً, وتمسّكاً بما يسمّى في الإعلام اليوم (ازدواجية المعايير). وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه النزعة التطفيفية لدى اليهود, في قوله تعالى: (ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل). فلا بأس عندهم في استباحة أموال غير اليهود.
- هذا التطفيف لو نظرنا في جذوره فسنجد أن له صلة بطبيعة العقيدة اليهودية والمفهوم اليهودي للإله (إله إسرائيل). بينما من يحمل فكرة الإله الخالق رب العالمين, فإن هذا يعينه على تجاوز هذه النزعة التطفيفية.

- **الألوهية في الديانة المسيحية:-**

- أهم سمات الإله في المسيحية هي التجسّد. أنّ الإله تجسد في شخص المسيح عليه السلام.
- عيسى عليه السلام عند المسيحيين, هو الله, وابن الله, وهو كلمة الله, ورسول الله في نفس الوقت.
- مفهوم المسيحية عن الإله, هو مفهوم غامض, غير متماسك لا منطقياً ولا أخلاقياً.
- المسيحية جاءت بتركيب عجيب بين التوحيد والوثنية. فلاهي ديانة توحيدية محضة, تقول بالإله الواحد الذي لا شريك له ولا ند له. ولا هي ديانة شركية أو وثنية محضة, تقول بعبادة الأصنام.
- لاحظ الفيلسوف الألماني (مانويل كانت) مشكلة هذا الغموض المسيحي في مفهوم الإله, وامتزاج الإله في الإنسان. وهذا في نظر (كانت) جعل التدين مستحيلا.
- بغض النظر عن الجانب المنطقي, وأن واحدا لا يمكن أن يكون ثلاثة في نفس الوقت, لأن هذا يكسر قانونا من قوانين المنطق وهو قانون عدم التناقض. (مانويل كانت) ينظر للموضوع من الناحية الأخلاقية, فيقول أن امتزاج الإله بالإنسان في الديانة المسيحية, جعل

التدين مستحيلا. فعيسى عليه السلام إذا كان إلها فلا يمكن أن يكون قدوة للبشر, فالبشر لا يمكن أن يكون قدوةً لهم إلا من كان بشرا مثلهم. وهنا نجد حكمة القرآن الكريم: (قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين, لنزّلنا عليهم من السماء ملكا رسولا).

- يقول (كانت): "الشخص الإلهي لا يصلح قدوة للشخص الإنساني". فإذا كان عيسى عليه السلام إلها, فكيف نطالب البشر بالاقتداء به وسلوك طريقه في الحياة؟

• الألوهية في الإسلام:-

- في الإسلام نجد التوحيد المحض الذي لا شائبة فيه, ونجد العالمية الأخلاقية التي لا تطفيف فيها. نجد هذا في نصوص الوحي (القرآن الكريم والسنة النبوية), ولسنا نقصد هنا في سلوك المسلمين, فسلوك المسلمين بعضه يرتفع إلى قريب من المثال الإسلامي, وبعضه ينخفض إلى حضيض القومية والعنصرية كما حدث مع أمم أخرى.
- العالمية الأخلاقية هي نتيجة للتوحيد المحض. لأن الإيمان بوحدانية الخالق, يُنْتِجُ منطقياً الإيمان بوحدة الخلْق, ووحدة الخلْق تعني وحدة القانون الأخلاقي الذي نتعامل به معهم.

• الألوهية في الديانات الشرقية:-

- المقصود بالديانات الشرقية, هي الديانات السائدة في آسيا عموما. تدخل فيها الهندوسية والبوذية والطاوية الكونفوشيوسية والشينو والسيخية وغيرها.
- السائد في الديانات الشرقية بشكل عام, هو أن الإله حقيقة عليا, غير محددة المعالم, ليس لها اسم, وليس لها صفات واضحة, وليس لها مُراد واضح من الخلْق, ولا تَدَخُّلٌ واضحٌ في الكون.
- في بعض هذه الديانات, وصل التجريد في فكرة الألوهية, إلى مستوى التجريد المطلق الذي يكاد ينفي وجود فكرة الإله أصلا. بحيث أنك لا تدري فعلا هل فيها فكرة إله أم ليس فيها هذه الفكرة؟

من هذه الديانات التجريدية: البوذية والطاوية والكونفوشيوسية.

- لذلك اختلف علماء الأديان, هل يوجد فعلا مفهوم الألوهية في الديانات الشرقية؟ بشكل واضح: لا يوجد مفهوم للإله في هذه الديانات, لكن هل يوجد مفهوم للألوهية؟
- بعض العلماء يجادل ويقول: أن هذه الديانات فيها مفهوم ألوهية وليس فيها مفهوم إله. بمعنى أنها تقرُّ بوجود شيءٍ ما, كائنٍ ما, ذاتٍ ما, هي الإله ولكن من غير معلومات عن طبيعتها واسمها وصفتها وذاتها ومُرادها من الخلق.
- وقع تطوّر تاريخي في بعض الأديان الشرقية. فالاحتكاك بالديانات التوحيدية, طوّر إلى حد ما فكرة الإله في هذه الديانات. فبدأت تنمو فكرة الإله شيئا فشيئا في هذه الديانات, خصوصا في البوذية والهندوسية, بسبب الاحتكاك بالثقافة الإسلامية على وجه التحديد, و الاحتكاك بدرجة أقل بالديانة المسيحية.
- من الملاحظ في هذه الديانات الوثنية, أو على الأقل في الهندوسية التي هي وثنية إلى حد كبير, الملاحظ هو بداية انحسار الجانب الوثني وجانب الشرك لصالح جانب التوحيد في

القرون الأخيرة وخصوصا في العصر الحديث. وذلك بسبب التطور العقلي والعلمي الذي جعل عبادة الأصنام مهزلة لا يرضاها ذو عقل لنفسه.

- بشكل عام هنالك علاقة مطّردة بين الجهل والوثنية, وبين انحسار الجهل وانحسار الوثنية. ونجد لهذا إشارة في آيتين من القرآن الكريم: في قول الله عز وجل: (قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون), وفي قوله تعالى على لسان موسى عندما رأىَ قومُهُ ناساً يعبدون الأصنام فقالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة, كان رد موسى: (إنكم قوم تجهلون).
- كلما أدرك الإنسان وحدة الطبيعة, اقتنع أكثر بوحدانية الخالق. فهنا نجد أيضا تأثير الفكر والعلم المعاصر وخدمته لفكرة التوحيد. لأن العلم المعاصر أَقْنَعَ كلَّ ذي عقلٍ بوحدة الطبيعة, فأنت لو أخذت قطعة حجر من القمر وحلّلتها في المختبر, ستجد نفس العناصر التي تكوّن قطعة حجر على الأرض. فهنالك وحدة للكون, ولا يمكن القول مثلا ببعض الوثنيات القديمة التي تؤمن بأن للقمر إلها وللأرض إلها, أو أن القمر نفسه إله أو أن الشمس إله.
- لكن هنالك تطوّر آخر, وهو أن التوحيد, فتح الباب للغزو العلمي المعاصر, لأنه حرّر الإنسان من استعباد الطبيعة. فبدلا من أن يَسجُدَ للطبيعة, أصبح يُخْضِع الطبيعة لنفسه. ولو أن مؤرخا منصفا في تاريخ الأفكار والعلوم, درس العلاقة بين فكرة التوحيد والنهضة العلمية المعاصرة, لوجد أن هنالك علاقة منطقية وطيدة جدا.

- **طبيعة الوحي الإلهي وغايته:-**

- الدكتور عثمان الخَشْد في كتابه (مدخل إلى فلسفة الدين), يعرّف الوحي بأنه: "اتصال من نوع ما, بين إنسان مصطفى وبين الحقيقة العليا للوجود".
- غاية الوحي باختصار, هي الكشف عن مُراد الخالق من الخلْق.
- هناك فرق كبير بين الوحي في الديانات التوحيدية, والوحي في الديانات الشرقية.
- الوحي في الديانات التوحيدية, هو دائما نصٌّ منطوق أو مكتوب.
- قد يكون منطوقا: (وكلمّ الله موسى تكليما). وقد يكون مكتوبا, فقد استلم موسى الألواح أيضا. فموسى عليه السلام استلم الوحي منطوقا ومكتوبا.
- حبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم استلم الوحي منطوقا, واستلمه إلهاما أحيانا. وقد وصف أن الوحي يأتيه أحيانا مثل صلصلة الجرس, فلما ينتهي يعي الأمر. وأحيانا يأتيه جبريل في شكل إنسان فيحدثه ويحفظ ما جاء به, وهذا أخفّه عليه.
- في الديانات الشرقية الوحي ليس نصا. فهو كما وصفه الدكتور الخشد: "إصغاء للحقيقة الأساسية لجوهر الكون بواسطة الحكماء". (ذكرنا في بداية هذه المادة, أن الديانات الشرقية هي فلسفات حكماء, وليست رسالات أنبياء)
- فكأن الحكماء في الديانات الشرقية, ينصتون في تأمل وتجريد ورياضة روحية, لصوت الحقيقة, ولمعنى هذا الكون. ثمّ تنكشف لهم الحقيقة فيتوصّلون إليها ويوصلونها للناس.
- الوحي في الديانات التوحيدية هو مسألة تنازلية, وفي الديانات الشرقية هو مسألة تصاعدية.
- وسيلة الوحي في الديانات التوحيدية هي الكلمة, وفي الديانات الشرقية هي الحَدْس.

- إن قارنّا داخل الديانات التوحيدية, فسنجد أن هنالك فرقٌ بين مفهوم الوحي في الديانة المسيحية, ومفهوم الوحي في الإسلام.
- في الإسلام, الوحي هو كلمة الله عز وجل, أو معنىً يلهمه الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم.
- كلمة الله عز وجل: مثل القرآن الكريم, حيث المعنى واللفظ من الله.
- معنىً مُلْهَم: مثل الأحاديث النبوية والقدسية التي يحدّث بها النبي صلى الله عليه وسلم, فالمعنى من الله عز وجل والحديث من النبي صلى الله عليه وسلم.
- في المسيحية, الوحي ظاهرة مُركّبة فيها غموض. (كما أن فكرة الألوهية فيها غموض)
- الوحي في المسيحية ليس ما يقوله المسيح عليه السلام, بل ما يفعله المسيح, بل هو المسيح نفسه!
- عيسى عليه السلام هو نفسه وحي بالنسبة للمسيحيين. فهو ليس مجرد مُبلّغ و رسول, ولكنه رسالة . وليس مجرّد مبعوث من الله عز وجل, ولكنه هو الله في اعتقاد المسيحيين. فلذلك بدأ القول في الإنجيل, بأن الكلمة صار بشرا, فعيسى عليه السلام هو بمثابة الكتاب.
- الإسلام يتمحور حول القرآن الكريم, أما المسيحية فتتمحور حول شخص عيسى عليه السلام. أما ما يقوله عيسى فهذا فرع عن الأصل. فكأن ما يقوله عيسى هو بمثابة الحديث النبوي, وعيسى نفسه هو قرآن المسيحيين.
- بينما في الإسلام, القرآن هو كلمة الله, والحديث هو بيان النبي صلى الله عليه وسلم لكلمة الله. وليس للنبي صلى الله عليه وسلم من الأمر شيئا, فقد فُرِضَ عليه الوحي فرضا (إن الذي فرض عليك القرآن لرادّك إلى معاد), وحُمِّلَهُ وهو حملٌ ثقيل (إنّا سنلقي عليك قولا ثقيلا). فهنالك ما يسميه مالك بن نبي - رحمه الله - باستقلال الذات المحمّدية عن الظاهرة القرآنية.
- مفهوم الوحي في الإسلام, هو مفهومٌ واضحٌ موضوعيٌّ ومستقلٌّ عن حامل الرسالة. بينما مفهوم الوحي في المسيحية, هو مفهومٌ غامضٌ وملتبسٌ وذاتي.

الأسبوع الخامس: أنماط التديّن والتعددية الدينية

- **أنماط التديّن:-**

- علماء الأديان يعتبرون أن هنالك العديد من أنماط التدين, أهمها: التدين الذهني, التدين الوجداني, التدين الشعائري, التدين الاجتماعي, التدين السلوكي, التدين النَفْعِي, تدين ردة الفعل, الوَرَعْ الشعبي, والتدين المَرَضِي.
- التدين الذهني: هو الاستمتاع بالمعرفة النظرية للدين والبراعة في الدفاع عنه, دون أن يترتب على ذلك التزامٌ عملي, أو ثراءٌ روحي.
وهذا موجود عند بعض الناس, الذين قد لا تجدهم أكثر الناس التزاما بالشعائر, ولا أكثر الناس روحانيةً وإشراقا في نفوسهم. لكنهم يستمتعون بالأفكار الدينية ومناقشتها, ويؤمنون بها إيمانا فكريا, ويدافعون عنها ببراعةٍ وحجاجٍ رصين. مثل بعض علماء الكلام من المعتزلة, تجدهم من أقوى الناس منطقا عقليا في الدفاع عن عقائد الإسلام وإعجاز القرآن, وإن كانوا في حياتهم الخاصة ليسوا متدينين بالمعنى الشعائري أو الوجداني.
- التدين الوجداني: هو حماسٌ عاطفيٌّ جيّاشٌ للدين, وللرموز الدينية, دون خبرة بحقائق الدين, أو التزاما بتعاليمه التزاما صارما.
هذا النوع من التدين أكثر ما نجده, عند بعض العوام من المسلمين, وذوي الفطرة ممن تجيش مشاعرهم بشكلٍ دافق إذا زاروا مكة والمدينة أو بدرا وأحدا وهكذا. وهذا يغلب على بعض الناس حتى وإن كانوا لا يستطيعون البرهنة على حقائق الدين برهنة عقلية, أو حتى لا يلتزمون بالدين في حياتهم الشخصية والاجتماعية التزاما كاملا.
- التدين الشعائري: هو التزامٌ دقيقٌ بالشعائر, واستنزاف لطاقة التدين كلها في الشعائر, مع إهدار الواجبات الاجتماعية التي يأمر بها الدين.
فتجد صاحب هذا النوع من التدين, أغلب طاقاته الدينية تذهب في الشعائر مثل نوافل الصلاة والصيام. لكن في المقابل, تجده يفرّط في واجباته الاجتماعية التي يأمره بها الإسلام, أو لا يهتم بشؤون المسلمين ولا يتألم لآلامهم. فتجده يكثر من التطوع بالحج والعمرة, ولكنه لا يهتم بالتصدق على مساكين قد يكون التصدق عليهم أوجب وأكثر تعيّناً من الناحية الشرعية.
- التدين الاجتماعي: هو بذل طاقة التدين في خدمة المجتمع, دون التزام كبير بتعاليم الدين في الحياة الشخصية.
بعض الناس يميل إلى تطبيق الجانب الاجتماعي من الدين, فتجده يتصدّق كثيرا, يحب خدمة الناس, يحمل راية الإسلام خفّاقة, يتألم لآلام المسلمين ويفرح لأفراحهم. مع ذلك هو ليس شديد الالتزام في حياته الشخصية, وحتى قد لا يكون لديه معرفة علمية كافية بالإسلام.
- التدين السلوكي: هو المواظبة على شعائر الدين بالعادة, دون معرفة كاملة بمعانيها وأحكامها, أو تفكير بوظيفتها الاجتماعية. وهو نوع من التدين الشعائري ولكن بالعادة أكثر منه عبادة حيّة.

- التدين النفعي: هو التزام بظاهر الدين واحترام لرموزه مراءاة للمجتمع. أصحاب هذا النوع من التدين يقلّون عند الفَزَعْ, ويكثرون عند الطَمَع. على عكس الأنصار رضي الله عنهم, الذين مُدِحوا بأنهم يكثرون عن الفَزَع ويقلّون عند الطَمَع. فتدين أصحاب هذا النوع قريب من النفاق, قد لا يكون نفاقا بالمعنى الاعتقادي الذي يظهر صاحبه الإسلام ويضمر الكفر, لكنه نفاق في السلوك. ويكثر هذا في السياسيين مثلا, الذين يحرصون على صلاة العيد لأن الجماهير ووسائل الإعلام موجودة ولكنهم لا يصلون صلاة الجمعة رغم أنها فرض عين. يرتكبون موبقات وأولها الظلم (ظلم الرعية), ومع ذلك يلقون الخطابات في مطلع رمضان وفي الأعياد.
- تدين ردة الفعل: وهذا يوجد عادةٌ عند ذوي السوابق الجنائية, أو ذوي الماضي الماجن, الذين أضاعوا حياتهم في إتّباع الشهوات. فصاحب السابقة الجنائية والماضي الماجن, أحيانا يميل إلى ردة الفعل, فكأنه يتطرف في تدينه ويتشدد كنوع من التعويض النفسي عن ماضيه الذي كان فيه مستهتراً بالدين وبالأخلاق.
- الوَرَعْ الشعبي: وهو صبغ الدين بصبغة فلكلورية, تختلط فيها البدعة بالسنة, والثقافة التاريخية بنصوص الوحي, وأعراف الشعوب بأحكام الإسلام. وهذا أصبح الآن كثير في الأمة الإسلامية خصوصا مع المستوى الواطئ للتعليم والثقافة. فتجدهم لا يلتزمون بأصول الدين, لا يميزون بين ما هو صحيح الإسناد للرسول عليه الصلاة والسلام وبين ما هو بدعة, لا يميزون بين ما هو صحيح الوحي وما هو إسرائيليات, لا يميزون بين الأحكام الشرعية وبين الأعراف والتقاليد التي امتزجت بالدين على مر العصور.
- التدين المَرَضِي: وهذا يوجد في بعض الأمراض النفسية, في صورة رؤى ودعوة دينية غريبة, لا يسندها العقل ولا يسندها النص. مثلا تجد واحد يدّعي أنه المهدي المنتظر, أو يدّعي أنه يعلم الغيب, أو يدّعي أنه يلتقي بالرسول صلى الله عليه وسلم, أو أنه يسافر من بلده إلى مكة في لحظة ويرجع, وما إلى ذلك من رؤى وأحلام وخرافات توجد لدى بعض الشعوب عندما تسود الخرافة والأباطيل في ثقافتهم و عندما يتراجع التفكير العقلاني المنطقي.

• معايير المفاضلة بين الأديان:-

- يعتقد فيلسوف الأديان (ويليام جيمس) أن هنالك ثلاثة معايير ينبغي أن نستعملها للحكم على أي دين, أو للمفاضلة بين الأديان.

المعيار الأول هو تنوير القلوب. وهو دوْر هذا الدين وقدرته على تنوير قلب الإنسان, على ملئه بالنور, بالغبطة, بالسعادة, بالثقة بالنفس, وبإضفاء المعنى والجمال على الحياة, وبإعطاء غاية للوجود.

المعيار الثاني هو التماسك المنطقي. وهو إلى أي مدىً هذه الأفكار التي يقدّمها هذا الدين متماسكة منطقيا؟ هل فيها تناقض؟ هل حجتها قوية؟ هل هي متماسكة أم مهلهلة منطقيا؟

المعيار الثالث هو الهداية السلوكية. وهو ما الذي يقدّمه هذا الدين من هداية وأثر على حياة البشر؟ هل من ينتقل إلى هذا الدين -من دين آخر أو من إلحاد- تتغيّر حياته إلى الأفضل؟

هل يصبح أكثر رضاً عن نفسه؟ أكثر انسجاماً مع بقية البشر؟ أكثر انسجاماً مع الكون؟ أكثر جديةً وأمانةً وصدقاً؟

- طبعا المعايير الثلاثة لـ (ويليام جيمس) متلوّنة بفلسفته "براغماتيا", لكنها معايير معقولة.
- في الدين عموما هنالك فرق بين الحقيقة المنطقية والحقيقة البراغماتية. أو كما يعبّر عنها مالك بن نبي: هنالك فرق بين صحة الفكرة وصلاحيتها. فأغلب الأديان تؤثر تأثيرا إيجابيا في حياة الشعوب, وتلبي نوعا من حاجة الإنسان, لكن هذا لا يعني صحة الفكرة, فوظيفة الفكرة مختلفة عن صحتها.
- قد تكون الفكرة صحيحة منطقيا لكنها لا تفيد, لأنها وُضِعَت في سياقٍ غير سياقها. وقد تكون خاطئة لكنها تفيد لأنها أُستُغِلّت استغلالا حسنا. فنحتاج أن نميّز مابين الحقيقة المنطقية والحقيقة البراغماتية, أو مابين صحة الفكرة وصلاحيتها.
- الدين الحقّ, هو الدين الذي جمع بين الصحة والصلاحية. هو منبعٌ للسعادةِ النفسية, لكنه حقيقة فلسفية أيضا, فهو يعبّر عن واقع الحياة وواقع الوجود.
- في الدين دائما هنالك جانب عقلي وجانب وجداني, هنالك صراع مابين العقل والوجدان. ولذلك اختلف علماء الأديان, هل الدين اقتناع عقلي يشحنه الوجدان بالمحبة والعبادة؟ أم الدين في الأصل تفجّرٌ وجداني وعاطفة فطرية, يسوّغها العقل بعد ذلك بالحجاج المنطقي والأدلة البرهانية؟
- كما أسلفنا, من وجهة النظر الإسلامية, الدين هو حقيقة عقلية في الأصل, لكن هذه الحقيقة لابد من شحنها وجدانيا.
- مع ذلك يوجد من فلاسفة الإسلام, مثل: محمد إقبال, من يرى أن جوهر الإسلام هو المحبة القلبية الوالهة, لا المعرفة الذهنية الباردة, حتى وإن كانت المعرفة الذهنية هي السابقة.

وكأنه يريد أن يقول, نبدأ بالإسلام ثم الإيمان ثم الإحسان, والإحسان هو نوع من الدفق الوجداني الذي يتجاوز الاقتناع العقلي تماما.

وقد عبّر إقبال عن ذلك في شعره فقال:

دواء البصيرة هذا الدواءْ رجاؤك في كشف داء البصرْ
وما العقل إلا جدال العلومْ وحرب الظنون ورَجمُ النظرْ
مصيرك أعظم من وقفة وأول معناه: ذوقُ السفرْ
وسر اللآلئ خُلْد البريقْ وإلا فمعدنها من حجرْ
وما هي جدوى دمٍ في العروقْ إذا كان يطفئ نار الفِكَرْ؟
فقل للشقائق في خدرها تجلّي فإني نسيم السَّحَرْ
وما عدّه الغربُ سِقْطَ المتاع بمذهبنا رأسُ مال الظَّفَر

- **التعددية الدينية في الفكر الغربي:-**

- هنا سنتناول موضوعا شائكاً وهو على قدر كبير من الأهمية في عالم اليوم/عالم العولمة وهو وحدة الحقيقة وتعدد الأديان.
- هذا الإشكال, سببه هو أن هنالك أديان كثيرة كل منها يدّعي الحقيقة, فهل كل هذه الأديان على حق؟ أم أن واحدا منها فقط على حق؟ أم أن لكل منها نصيبا من الحقيقة؟
- هنالك عدة مفاهيم لقضية التعددية الدينية.
- مفهوم عملي: وهو يدعو إلى التعايش بين أتباع الأديان والاعتراف بحق الإختلاف, مع احتفاظ كل دين بحقه بدعوى امتلاك الحقيقة. نتعايش بالحسنى, ونترك الحكم لله عز وجل فيمن هو على حق ومن هو على باطل. هذا المفهوم ليس جديدا, وكان شائعا, وفي كل التاريخ الإسلامي كان يوجد هذا المفهوم.
- مفهوم فلسفي: يقول إن الأديان مجرد وجهات نظر نسبية حول الحقيقة, لا يُعتَبر أي منها أولى بالحق من غيره. وإنما هي وجهات نظر متعددة نسبية, كلٌّ منها فيه جزء من الحقيقة و ليس في أي منها كل الحقيقة.

فكرة التعددية الدينية بهذا المعنى الفسلفي يُعتبَر رائدها الفيلسوف وعالم الدين البريطاني (جون هيك), وهو مسيحيٌ كانَ ينتمي إلى الطائفة المسيحية المَشْيَخِيّة, وكان رجل دين في بداية حياته, بل عاش في الهند فترةً يبشّر بالديانة المسيحية, ولكنّه بعد ذلك بدأ يميل إلى منحىً شكوكيٍّ, فوصل إلى هذه الفكرة.

- مفهوم تلفيقي: لا يرى بأسا بأن يأخذ الإنسان عنصرا من هذا الدين, ويخلطه بعنصر من دين آخر. اشتهر بهذا الإمبراطور المغولي في الهند (إمبراطور أكبر), كما اشتهر به (غاندي) في العصر الحديث فكان يأخذ من الهندوسية ويمزج بالمسيحية ولا يرى بأسا في ذلك. كما أن هنالك أديان تعتبر تلفيقية بطبيعتها, مثل: الديانة السيخية, التي هي تلفيقٌ مابين الإسلام والهندوسية, لأن السيخ عاشوا في بيئة إسلامية ولكن جذورهم هندوسية.
- مفهوم براغماتي: يسوّي بين الأديان نظريا لا عمليا, فهو يرى أن الأديان متساوية من الناحية النظرية, لكنّها متفاوتة من الناحية العملية. لأن بعضا منها أكثر فائدة من بعض وأحسن ثمْرة.

وبالنسبة لـ (ويليام جيمس) فهو أبو البراغماتية كما ذكرنا, فلا تهمّه صحة الفكرة بقدر ما تهمه ثمْرة الفكرة ووظيفتها. فهو يقول: أنا أحكم على كل دين بقدر فائدته للبشر.

- مفهوم الخلاص المزدوج: هو مفهوم خاص بالسياق اليهودي المسيحي, وقد ظَهَر مؤخرا على أيدي بعض علماء الأصولية المسيحية, خصوصا في الولايات المتحدة.

بعض الطوائف المسيحية البروتستانتية وخصوصا من قادة الطائفة المعمدانية. فهم كانوا يقولون سابقا بأن الخلاص والنجاة الأخروية خاصة بالمسيحيين, لكن بسبب تَهَوُّد المسيحية البروتستانتية والأثر العميق الذي تركته فيها الصهيونية المعاصرة, بدأوا يقولون: أن النجاة الأخروية ليست للمسيحيين فقط, بل لليهود أيضا, فهنالك خلاص مزدوج أو عهد مزدوج. ولكن لا نجاة لغير اليهود والمسيحيين.

- **التعددية الدينية من منظور إسلامي:-**

- للإسلام فلسفته الخاصة في مسألة التعددية الدينية.
- الإسلام يقرُّ بالتعددية فترة كونية, ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك, ولذلك خلقهم.
- الإسلام يعتبر التعددية حافزا للتسابق في الخير (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا), (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة, ولكن ليبلوكم فيما آتاكم, فاستبقوا الخيرات)
- كما أن الإسلام يقرُّ بالحرية الدينية المصونة للجميع, من غير ازدواجية ولا مثنوية. ويكفي أن من أولى الآيات التي نزلت في الجهاد في الإسلام, هي آيات سورة الحج التي تدافع عن جميع دور العبادة, وهي بمثابة ميثاق للحرية الدينية, ولذلك ورد فيها: (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض, لهدمت صوامع وبِيَع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا).
- علاقة الإسلام بالرسالات السابقة, هي علاقة تصديق, وإقرار بالنسب الرابط بينها وبين الإسلام. ولكنها أيضا علاقة هيمنة, هيمنة بمعنى التصحيح, فكما جاء في القرآن الكريم (مصدّقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه)
- فالإسلام يقرُّ بالنسب العريق الذي يربطه بالديانات السابقة, لكنه أيضا يصرُّ على أن دوره هو التصحيح, تصحيح المواريث الدينية التي عبثت بها أيدي الزمان وشوهتها تأويلات البشر.
- الإسلام يقرُّ وحدة العقيدة بين كل الرسالات, لكنه يقرُّ تعدد الشريعة. (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا)
- التعددية الدينية في الإسلام لا تعني النسبية الفلسفية , لا تعني أن كل تابعا لدين مصيب, وإنما الحق واحد, ودين الحق واحد, وهو الإسلام. لكن لكل من الديانات الأخرى نسبة من الحق, لا يوجد دين باطل كلّه.
- لا تقبل في الإسلام المفاهيم الفلسفية و التلفيقية. فهي أولاً غير واقعية وتحكّمية, وهي تقيّد الحرية, وتقضي على التوتر الإيجابي الدافع على البحث عن الحقيقة.
- إنما يقرُّ الإسلام المفهوم العملي للتعددية الدينية, لأنه حلٌّ منصف دون رهق لأي طرف, فباب الحرية مفتوح للجميع, ليؤمن من شاء بما شاء, والله عز وجل هو الحكم, ورحلة البحث عن الحقيقة دائبة, وباب البحث عن الحق مفتوح.
- الإسلام يقرُّ أن لكل دين نصيب من الحق يقلّ أو يكثر, لكن الإسلام هو الدين الكامل, وما سبقه من الرسالات كان جزئيا وظرفيا. وهو الرسالة الوحيدة التي لا تزال طرية, ولم تعبث بها أيدي البشر.
- عمليا, يدعونا الإسلام إلى البر والقسط في معاملاتنا مع أتباع الديانات المختلفة. وأما سياسيا, فهو يدعو الدولة إلى حماية حرية العبادة للجميع.
- هنالك من يحاول حل إشكال التعددية الدينية, بالدعوة إلى العلمانية. وجوهر العلمانية فلسفيا, هو مركزية الإنسان, ونزع القدسية عن الكون. و جوهرها عمليا, هو فصل الدين عن الشأن العام, ضمانا لإنصاف جميع المواطنين بمختلف أديانهم.

- العلمانية ليست حلاّ لمسألة التعددية الدينية, وبالذات في المجتمعات الإسلامية. فمن المستحيل تطبيق العلمانية دون قهر هذه الشعوب التي تريد الإسلام وقيم الإسلام في حياتها العامة كما تريدها في حياتها الخاصة.
- تطبيق قيم الإسلام لا يعني إجحافا بالآخرين, ولا يعني تحيّز الدولة للمسلم على حساب غير المسلم. وإنما نحن بحاجة لبناء دولة المواطنة, التي تضمن حرية العبادة الكاملة للجميع, وتعامل كل المواطنين بالمساواة, وهي ليست دولة المسلمين وإن كانت دولة ذات مرجعية إسلامية.

الأسبوع السادس: مستقبل الأديان

• الدين بين التراجع والتوسع:-

- هنا سنتناول مستقبل الدين في حياة البشر, والتحديات العلمية والفكرية والأخلاقية التي يواجهها الدين بشكل عام, والإسلام بشكل خاص.
- في عام 1927, نشر عالم النفس الإنجليزي الشهير (فرويد) كتيّبا صغيرا بعنوان (مستقبلُ وهم). وهو كتيّب يزعم فيه (فرويد) أن الدين تعبيرٌ عن مرحلة طفولية من حياة البشر, وكلما بلغ البشر الأشُدّ, تخلّوا عن الدين. ولذلك هو يعتبر أن الأديان عموما مجرد وهمٍ احتمى به الإنسان في فترة معينة من الطفولة البشرية, وأن العلم والنضج العقلي كفيلان بتبديد هذا الوهم.
- كان (فرويد) يعيش ضمن مناخ ثقافة القرن التاسع عشر التي نشأ وتربى فيها, والثقافة الأوربية في القرن التاسع عشر كما أسلفنا كانت ثقافة إلحاد وسوءِ ظنٍّ بالدين. لكن وكما أشرنا سابقا, فإن هذه النظرة للعلم واعتباره بديلا عن الدين, أمرٌ لم يعد له وجود في نهاية القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين. فقد علم الإنسان عن الكون اليوم من خلال العلوم الوضعية, ما جعله أكثر تواضعا وأقل تبجّحا.
- هنالك آراء متعددة حول مستقبل الدين, وهنالك نقاشات في الولايات المتحدة وفي الدول الغربية حول هذا الأمر. ونذكر نقاشا حول مستقبل الدين شارك فيه (مايكل كوجن) وهو أستاذ في كلية اللاهوت بجامعة هارفارد, وأشار كوجن حينها إلى ما اعتبره ظاهرة مطّردة في الأديان في العصر الحديث, وهو تحلل السلطة الدينية. وهذا صحيح, ولكن هذا لا يدل على تحلل الدين في ذاته, ولا يدل على تخلي الناس عن الدين, فهنالك فرق كبيرٌ بين الدين وبين المؤسسة الدينية. فضعف الثقة في المؤسسة لا يعني ضعف الثقة في المبدأ, ولا يعني تراجعٌ عن ذلك المبدأ.
فما لاحظه كوجن من تحلل السلطات الدينية في كل الأديان في العصر الحديث, هو صحيح. ولكن ليست السلطات الدينية وحدها, وإنما السلطة السياسية, والسلطة الاجتماعية الأبوية وغير ذلك من السلطات. فنحن نعيش في عصر الفردانية.
- أما (جينيفر مايكل هيشت) وهي شاعرة ومؤلفة, وهي مؤلفة كتاب (تاريخ الشك), فقد أشارت إلى ملاحظات لطيفة في مشاركتها. فبدأت بالقول بأن الوجود الإنساني وجود غريب ومُعجز ومرعب. فهو وجود غريب يثير كثير من التساؤلات لدى الإنسان ذاته (والدين في

نهاية المطاف هو بحث عن معنى الحياة والوجود). ثم هو وجود معجز, فالحياة الإنسانية في غاية الدقة والجمال والتناسق. وهو مرعب, بمعنى أن الإنسان يبحث عن معنى وجوده, فهو كائن ضعيف يواجه كائنات أقوى. يعيش بين هذه الأكوان التي لا يقاس حجم الإنسان بحجمها, ولا قوته بقوتها. فما دام الوجود الإنساني هكذا فسيضل هنالك دين. فهي تريد أن تبني على هذا أن الدين مستمرٌ و باقٍ ما بقي الإنسان, لأن الدين هو جواب على معنى الوجود الإنساني.

- وتشير (جينيفر) إلى أن كل الناس يرجعون إلى الدين, حتى الملحدون يلجئون إلى الدين أحيانا. وتلاحظ (جينيفر) أن كثير من رجال الدين في أميركا اليوم, لم يعد يؤمنون بوجود الله, لكنهم يؤمنون بأهمية الدين في حياة البشر.

فهنالك تراجع للدين في الغرب اعتقاداً, ولكن ليس هنالك تراجع له كوظيفة اجتماعية.

- وتتوصل (جينيفر) في نهاية مقالها إلى أن الشعوب في الغرب, بدأت تتجه إلى نوع من الروحانية, من غير إيمان/عقيدة. حتى الملحدون لا يزالون يمارسون بعضا من الطقوس. مثلا:ميلاد الأطفال, أو الجنائز, أو الزواج أو غير ذلك من الأمور ذات الجذور الدينية.
- من جانب آخر, تشير رئيسة الأكاديمية الأميركية لدراسة الأديان سابقا (وهي من أصل صيني) إلى أن هنالك حَوَلاً غربيا في النظر إلى هذا الموضوع. فبعض فلاسفة ومثقفي الغرب, يعممون تراجع الدين في مجتمعاتهم على المجتمعات الأخرى. فتراجع الدين في الولايات المتحدة أو في أوروبا, لا يعني بالضرورة تراجعه في المجتمعات الآسيوية أو الأفريقية أو الأميركية اللاتينية. فهي ترى أن هؤلاء الفلاسفة مصابون بحَوَل, فهم لا يرون إلا الشق الغربي من المسألة. ولو تأملوا في الصحوة الدينية الموجودة في المجتمعات الأخرى, لأدركوا أن الدين لا يعيش نهاية ولا يوشك على النهاية. وهي تقول أن مستقبل المسيحية الحقيقية لن يكون في الغرب, بل سيكون في الشرق/في آسيا. وتشير إلى الانتشار الهائل للمسيحية في الصين مثلا, في الوقت الذي تتراجع فيه الديانة المسيحية في الولايات المتحدة.

• تحدّي النسبية الثقافية:-

- من أكبر التحديات التي تواجهها الأديان في العصر الحديث, هو تحدي النسبية الثقافية.
- النسبية الثقافية التي ترى أو تنكر وجود أي حقيقة مطلقة في هذا الكون, بما في ذلك الحقائق الدينية. فالفيلسوف البريطاني (جون هيك) مثلا, يشبّه الأديان باللغات المختلفة التي تعبّر عن نفس الفكرة. بمعنى أنه لا يوجد دين أفضل من دين. وهذه هي قمة النسبية الدينية والثقافية.
- المشكلة في تحدي النسبية الثقافية, هو أنه يحرم الدين من اليقين. وإذا جُرّدَ الدين من عنصر اليقين, فإنه ينتهي ويتحول إلى مجرّد مسألة ذوقية.
- قضية التعددية الدينية ومجال النجاة في الآخرة, وهل النجاة في الآخرة تشمل أتباع دين واحد فقط؟ أم من الممكن أن تشمل أتباع أكثر من دين؟ هذا من أهم الأسئلة المطروحة اليوم في الدراسات المستقبلية حول الدين.
- إذا تأملنا التراث الإسلامي, فلا نجد كثيرا حول موضوع التعددية الدينية والنجاة الأخروية لأتباع الديانات الأخرى, لأن هذا محسوم بشكل عام في الثقافة الإسلامية, لصالح القول بأنه

لا نجاة لغير المسلمين, بناء على قول الله عز وجل: (إنّ الدين عند الله الإسلام). وقوله عز وجل: (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه).

- لكن هذا الإشكال طُرح في بعض كُتُب علم الأصول, في باب (تعدد الصواب في الاجتهاد). وطُرح هذا الإشكال أيضا ضمن بعض كتب علم الكلام, خصوصا لدى بعض علماء المعتزلة مثل الجاحظ, فقد تفرّد الجاحظ برأيٍ لم يتابعه عليه أكثر علماء الإسلام, لكنه رأي جديرٌ بأن نشير إليه الآن في سياق التعددية الدينية, لأنه يشبه إلى حد كبير طرح بعض الفلاسفة المعاصرين. فالجاحظ يقول: "إن اليهودية والنصرانية والدهرية, إن كان معاندا على خلاف اعتقاده, فهو آثم. وإن نظر فعجز عن دَرْك الحق, فهو معذورٌ غير آثم. وإن لم ينظر من حيث لم يعرف وجوب النظر, فهو أيضا معذور. وإنما الآثم المُعذّب هو المعاند فقط. لأن الله لا يُكلّف نفسا إلى وسعها, وهؤلاء قد عجزوا عن دَرْك الحق ولزموا عقائدهم خوفا من الله تعالى إذا إستدَّ عليهم طريق المعرفة"
والجاحظ يبني هذا على مبدأ إسلامي صريح, وهو أن الله لا يكلّف نفسا إلاّ وسعها.
- وقد أورد أبو حامد الغزالي رأي الجاحظ في كتاب (المستصفى من الأصول), ولكن الطريف أنّ أبا حامد الغزالي رغم رفضه لرأي الجاحظ, إلا أنه قال برأي مشابه في كتابه (فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة). حيث كتب أبو حامد الغزالي: "وأنا أقول إن الرحمة تشمل كثيرا من الأمم السالفة, وإن كان أكثرهم يُعْرَضون على النّار, إما عَرْضةً خفيفة حتّى في لحظة أو في ساعة, وإمّا في مدّة حتّى يُطْلَقُ عليهم اسم بعث النار. بل أقول إنّ أكثر نصارى الروم والتُرْك في هذا الزمان تشملهم الرحمة إن شاء الله تعالى. أعني الذين هم في أقاصي الروم والتُرْك, ولم تبلغهم الدعوة, فإنهم ثلاثة أصناف: صنفٌ لم يبلغهم اسم محمد صلى الله عليه وسلم أصلا, فهم معذورون. وصنفٌ بلغهم اسمه ونعته وما ظهر عليه من المعجزات, وهم المجاورون لبلاد الإسلام والمخالطون لهم, وهم الكفّار الملحدون. وصنفٌ ثالثٌ بين الدرجتين, بلغهم اسم محمد صلى الله عليه وسلم, ولم يبلغهم نعته وصفته, بل سمعوا أيضا منذ الصبا أنّ كذّابا مُلَبّساً اسمه محمد ادّعى النبوّة, كما سمعوا صبياننا أن كذّاباً يُقالُ له المقفّع ادّعى أن الله بعثه وتحدّى النبوّة كاذبا. فهؤلاء عندي في معنى الصنف الأول, فإنهم مع أنهم سمعوا اسمه, سمعوا ضدّ أوصافه, وهذا لا يُحرَك داعية النظر في الطلب"
- عموما علماء الإسلام لا يقولون بالنسبية التي هي اليوم من أكبر التحديات ضد الأديان, لكن بعضهم يقول بالعذر في الاجتهاد. ليس فقط العذر للمجتهد المسلم إذا أخطا في حكم شرعي, وإنما أيضا العذر لغير المسلم إذا بذل الجهد في البحث عن الحق ولم يصل إلي نتيجة.
- يمكن أن نلخّص نظرة الإسلام في مسألة النسبية الدينية والنسبية الثقافية, في الآتي:
- أولا: أن الحق في الإسلام واحدٌ لا يتعدّد. أصابه الإنسان أو أخطأه.
- ثانيا: أن الدين عند الله الإسلام. لكن الإسلام جاء بأسماء مختلفة وشرائع مختلفة, مع بقاء جوهر العقيدة في الإيمان بالله واليوم الآخر لم يتغير على مدى التاريخ. فكل الأنبياء جاؤوا بالإسلام وإن كان سُمِّيَ تاريخياً بأسماء مختلفة.
- ثالثا: أن العجز عن الوصول إلى الدين الحق واعتناقه, لا يعني بالضرورة عدم النجاة في الحياة الآخرة. إلا إذا كان جُحودا متعمدا, وتكبّرا على الحق. فمن لم يؤمن بالإسلام لأنه لم يتبين له أنه حق, وبذل غاية الجهد في الوصول إلى الحق, فهو معذور. وأنا هنا أميل إلى

أبي حامد الغزالي والجاحظ في هذا الأمر. والسبب هو أن العدل من صفات الله عز وجل, وأنه من يقينيات الشرع أن الله لا يكلف نفسا إلى وسعها.

- رابعا: يقبل الإسلام بل يوجب التعايش العملي بين أتباع الديانات المختلفة في الدنيا, ويترك الحكم بين الناس فيها للخالق سبحانه وتعالى في الآخرة. فليس من المهم التخمين حول مآلات الناس وعواقبهم في الآخرة.
- خامسا: أن الأدبيات والنظريات المعاصرة في التعددية الدينية, هي انعكاس لضعف الثقة في بعض الديانات (خصوصا المسيحية), نتيجةً للتطور العقلي والعلمي المعاصر. فالديانة المسيحية تخلّى عنها الغربيون عمليا. والديانة الهندوسية تخلّى عنها أهلها كذلك. وهم يريدون أن يعمّموا هذا التخلي وضعف الثقة في الدين على الديانات الأخرى.
- سادسا: أن الإسلام لا يقبل نسبية الحقيقة الدينية. بل يُلحّ على وجود دين حق واحد, وأديان باطلة. وسبيل إلى الله, وسُبُلِ ضلالة. وصراطٍ مستقيم, وصراطات معوجّة.

• مخاطر على مستقبل الدين:-

- من المخاطر التي يواجهها الدين, الجمود الفكريٍ, والتفسير الحرفي الذي يجعل الدين متخلّفاً عن ركب الحياة وركب الحضارة.
- من الحِكَم التي عبّر عنها الدكتور حسن الترابي, هي قوله: "إنّ كُلَّ توقفٍ تّخّلُّفْ", فالدين مثل أي ظاهرة في هذه الحياة, إذا توقّف تخلّف. لأن الحياة لا تنتظر أحدا ولا تنتظر أي ظاهرة أخرى.
- فلذلك فإن الجمود الفكري والتفسير الحرفي للدين, والاستئسار لصورة تاريخية معينة, سواء كانت صورة السلف أو غيرها, من أهم المخاطر على الدين, لأنها تجعل الدين متخلّفاً عن ركب الحياة. وبالتالي تجعل الناس تبحث عن مصادر إلهام خارج الدين.
- العجز عن التجدد, والمزج بين العنصر الإلهي الخالد والعنصر التاريخي المتغير, من أهم الأمور والمخاطر التي تواجه الأديان, وجعلت بعض الأديان تندثر في العصر الحديث.
- كل تجديد في الدين, وبالذات في الأديان السماوية, ينبغي أن يتأسس على فصل واضح بين العنصر الإلهي الخالد, والعنصر التاريخي المتغير. لكن الثقافة السلفية السائدة اليوم مع الأسف في العالم الإسلامي بالذات, تمزج بين الوحي والتاريخ كثيرا. ولذلك هي تقيّد الوحيَ, وتقيّد عنصر الإطلاق في الوحي.
- ما يمتاز به الوحي عن الفكر البشري, هو عنصر الإطلاق. فهو مُطْلَقٌ يتجاوز حركة الزمان والمكان. فإذا ربطنا الوحي بصورة تاريخية معيّنة, وقلنا مثلا: الكتاب والسنة بفهم السلف وما إلى ذلك من مقولات نسمعها اليوم. فهذا في حقيقة الأمر, هو تقييد لعنصر الإطلاق وتحديد له. وبالتالي فرض على الدين أن يتخلف عن حركة الحياة.
- كذلك من المخاطر العديدة التي واجهت الأديان وواجهت الإسلام في التاريخ, هو التأويل الباطني, الذي يخرج الدين عن أي ضابط من الدلالة العقلية أو اللغوية. وقد رأينا ذلك في الحركات الباطنية التي ظهرت في التاريخ الإسلامي.
- فالدين يعاني أحيانا من الظاهرية السلفية, ويعاني أحيانا من الباطنية الغنوصية. ولذلك, نحتاج إلى مذهب وسط, يرفض الباطنية كما يرفض الظاهرية. وبالذات في الأديان التي تتمحور حول نص.

- أي دينٍ يتمحور حول نص, مثل الإسلام. يُنتِجُ في الغالب تفاعل الفكر والواقع مع هذا النص. فيُنتِجُ بعض المدارس الفكرية التي هي قريبة من النص أكثر من اللازم, وهذا الذي نسميه الظاهرية. ويُنتِجُ مدارس بعيدة عن النص أكثر من اللازم, وهذا ما نسميه الباطنية.
- الإغراق في القرب من النص, والإغراق في البعد عن النص, كلاهما خطرٌ على الدين. لأن القرب من النص أكثر من اللازم يتحوّل إلى حرفية مُقَيِّدَة لعنصر الإطلاق في النص, وبالتالي مُقَيِّدَة لمدلول النص بحيث أننا لا نعود قادرين على استنطاق النص والحصول على أجوبة جديدة, للتحديات الجديدة التي تظهر.
بينما التأويل الباطني يُفْقِدُ أي سلطة للنص أصلا, فيصبح كل نص يتم تأويله تأويلا بعيدا مُغرِقا في باطنيته, لا يلتزم بأي دلالة لغوية أو عقلية, و يَنْبَتُّ عن النص تماما.
- من المخاطر التي تواجه الأديان هذه الأيام, هو النُزُوع العاطفي الفجّ, الذي يُخضِعُ الدين للأهواء أحيانا. وهذا نجده في بعض المجتمعات الغربية اليوم, حيث تحوّل الدين إلى مجرد نُزُوع عاطفي, أو دغدغة لعواطف الناس, خصوصا عند بعض الوعّاظ الذين يقولون للناس ما يريدون, بدلا من أن يرشدوا الناس إلى ما هو الحق. فهم لا يرشدون الناس إلى رسالة الدين, بقدر ما يكيّفون رسالة الدين مع ما يريده الناس. فلذلك تحوّل الخطاب الديني إلى مجرد تسويق, وأول قاعدة في التسويق هي أن الزبون على حقٍّ دائما. فأنت عندما تخاطب المسلمين مثلا, فتقول لهم ما يرضيهم لا ما يرضي الله, فإنك تمارس قوانين التسويق لا قوانين الهداية.
- من المخاطر التي تواجهها الأديان أيضا, هو أن يتحوّل الدين إلى نظام أخلاقي مُنْبَتٍّ من الإيمان. وقد أشرنا في الجزء السابق إلى كلمة (جينيفر), عندما قالت أنه في المجتمعات الغربية أصبح هنالك اتجاه إلى روحانية من غيرِ إيمان. ولذلك من الغرائب التي توجد الآن في الولايات المتحدة ورأيتها بعيني, رجالُ دينٍ لا يؤمنون بوجود الخالق أصلا! وهم رجال دين يقودون كنائس أو معابد يهودية. وقد حدّثني الشيخ حمزة يوسف عن رجلِ دينٍ يهودي, كان معه في ندوة في الولايات المتحدة, فقال في محاضرته أنه لا يؤمن بوجود الله! وهو حاخام يهودي, يقود معبدا يهوديا!
وعَرَفْتُ بنفسي قائدة لأحد المعابد اليهودية في تكساس, وهي ملحدة ومجاهرة بإلحادها. فبالنسبة لها, وبالنسبة لهذا النوع من المتدينين: الدين نظام اجتماعي وأخلاقي, ولكنّه ليس نظاما اعتقادياً.
- ونضيف إلى المخاطر السابقة, تحدّي العلم. فالثورة العلمية المعاصرة بددت الكثير من الأساطير والخرافات التي نبتت على ضفاف الدين. وكشفت عوار بعض الأديان الوضعية والأديان الأسطورية, وقضت عليها تماما.
لكن هذا التطور العقلي والعلمي ,يفيد دين التوحيد, وإن كان يهدم الديانات غير التوحيدية.

• مخاطر تواجه الإسلام:-

- أما الإسلام, وخصوصا في السياق الذي نعيشه اليوم, فالمخاطر التي تواجهه كبيرة. بعضٌ منها هي نفس المخاطر التي تواجه كل الأديان, ولكن هنالك مخاطر تتعلق بسياق الثقافة الإسلامية اليوم, وحالة التحول التي تعيشها الأمة الإسلامية في هذه اللحظة بالذات.

- أول هذهِ المخاطر, هو الخطر/الخطل الأخلاقي, الذي يجعل الدين حليفاً للظلم. حينما يُستَعمل الإسلام لتسويق الظلم, وتسويغ الاستبداد, فإن هذا خطر على الإسلام. لأن كثيرا من الناس, ليس لديهم قدرة تجريدية, ليميّزوا بين الإسلام والمسلمين. أو بين نص القرآن وما يقوله الشيخ أو المفتي. فإذا وجدوا من يمثلّ رأي الدين - في أذهانهم - يسوّغ القتل وإراقة الدماء (كما نرى من بعض المفتين اليوم, الذين يسوّغون للمستبدين سفك دماء الثوّار الأحرار في البلدان العربية), فهذا من أسوأ المخاطر على الدين. لأن هذا يجعل الناس تفقد الثقة في الإسلام, وفي تحقيق العدل في ظلال الإسلام.
- كذلك من المخاطر التي تواجه الإسلام اليوم, الانطواء والعجز عن التحوّل إلى رسالة إنسانية في عصر العولمة. فبعض المسلمين للأسف, حوّلوا الإسلام إلى هوية وطنية أو هوية قومية. فأصبح الإسلام وكأنه نظام أخلاقي خاص بالمسلمين, إذا قلت لهم مثلا: أعطوا الصدقة لغير المسلمين, يقولون: لا, لا نعطيها إلا للمسلمين. وهذا خطأ, فالله عز وجل قال: (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم), ولم يقل المسلمين أو غير المسلمين. وقال عز وجل: (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا), ولم يقل المسكين واليتيم والأسير المسلم فقط.
- بعض المسلمين حوّلوا الدين إلى هوية ثقافية وقومية, وحَجَروا على قيم الإسلام وضيّقوا نطاقها. والأصل أنها قيم إنسانية عالمية. فإذا استمر هذا التضييق وتحويل قيم الدين إلى قيم قومية أو وطنية, فإن هذا خطر على الإسلام. فلابد من أن نُرْجِعَ إلى قيم الإسلام مدلولها الإنساني العالمي.
- من المخاطر التي تواجه الإسلام اليوم, الثقافة السلفية ذات الثقة الزائدة في اجتهاد الأجداد. ومشكلة هذا النوع من الثقافة, هو أنه ينتهي بتثبيت ما ليس ثابتا, وتأصيل ما ليس أصلا. بمعنى أننا نسمع في هذا الخطاب السلفي ذي المرجعية التاريخية, حديثا طويلا عريضا عن الثوابت, ومصطلح الثوابت أصبح مصطلحا غائما. فالثوابت هذه لا حصر لها, ثم أن كثيرا منها عند الفحص: ليس من الثوابت أصلا! بل قد يكون مبنيّا على نصٍّ غير ثابت, أو على فهم غير يقيني. فالنص مُجملْ والفَهْمُ فهمً اجتهادي, ومع ذلك يسمونه من الثوابت. أو قد يكون إجماعٌ, ولكنّه إجماعٌ مبني على مصلحة, وليس مبنيا على نص.فالإجماع المبني على مصلحة, يتغير بتغير المصلحة.
- من المخاطر الكبرى, وربما أسوأ المخاطر التي يواجهها مستقبل الإسلام: الطائفية المدمّرة للنسيج الاجتماعي, والأرحام الإنسانية.

هذه الطائفية التي تمزّق الأرحام مابين المسلمين اليوم, وخصوصا مابين السنة والشيعة, هي من أسوأ المصائب.

لو نظرنا إليها في سياق تاريخ الأديان, وقد أُتيح لنا بحمد الله عز وجل الإطّلاع على تاريخ عددا من الأديان, وخصوصا المسيحية, ورأينا الحروب الطائفية المدمّرة مابين الكاثوليك والبروتستانت (حرب المائة عام, وحرب الثلاثين عاما, وحرب السبع سنوات), فيمكن القول من غير مجازفة, إن من أسباب سوء إلظن بالدين في المجتمعات الغربية, هي تلك الحروب الدينية التي عاشتها تلك المجتمعات في القرن السادس عشر والسابع عشر الميلاديين.

فهذه الحروب الدينية جعلت الناس تفقد الثقة بالدين, وبالمؤسسة الدينية, وبكلِّ ماله ارتباط بالدين. وإني يعلم الله لأخاف خوفا كبيرا على مستقبل الأجيال المسلمة القادمة, وكيف ستنظر للدين.
مثلا: كيف سينظر أبناء وأحفاد الجيل العراقي الحالي إلى الإسلام؟ وهم الذين سيحملون ذكرى ثقيلة, من المذابح بين السنة والشيعة. كيف سينظر هذا الجيل الجديد من المسلمين, في العراق, في منطقة الخليج, في العالم الإسلامي بشكل عام, إلى الدين, بعد أن رأوا الفظائع التي اَرتُكِبَت باسم التسنّن واسم التشيّع في الجيل الحالي؟

- لقد عجزنا عن بناء مجتمع العدل والحرية, الذي لا ازدواجية فيه ولا مثنوية. ورفضنا الاعتراف بتعدد الفهوم, وتعدد المذاهب, وتعدد الاعتقادات في مجتمعاتنا. ولذلك انتهينا إلى هذه الحالة الدموية؟
- الطائفية هي تشبث بالمواريث التاريخية, التي نبتت على ضفاف الوحي.
- الوحي يوحّدنا, ولكن التاريخ يفرّقنا. وما لم نميّز بين هذين العنصرين, فإننا سنظل في هذه المشكلة.

• دين الفطرة دين المستقبل:-

- من خصائص دين الفطرة: التوحيد. ومهما كان مصير الأديان, فأنا موقنا يقينا جازما: أن دين الفطرة لن ينمحي من حياة البشر, وأن الإسلام هو دين الفطرة, وأن المستقبل للإسلام, لأنه دين الفطرة.
- من خصائص دين الفطرة: التوحيد. وكل الديانات الشركية, انهارت عقائدها تحت معاول العقل والعلم المعاصر. حتى وإن لم تَنهرْ شعائرها ونُظُمُها وتقاليدها الاجتماعية, فإن نظام العقائد فيها انتهى. ولذلك رأينا رجال دين مسيحيين ويهود لا يؤمنون بوجود الخالق, رغم أنهم يُعتبرون قادة دين في المجتمعات الغربية. وهذا كان بسبب ما شاب هذه الديانات من شوائب الشرك. أما الديانات التي هي في الأصل ديانات شركية, فليس لها مستقبل أصلا (من حيث العقيدة على الأقل).
- من خصائص دين الفطرة, وِحْدَةُ الحياة. فدين الفطرة لا يشطر الوجود الإنساني إلى وجودٍ مادي وروحي/ وجودٍ دنيوي وأخروي, وإنما دين الفطرة يتعامل الإنسان كما هو.
فالإنسان كائن روحي ومادي, ولابد أن يلبي الدين حاجته المادية وحاجته الروحية. وقد لاحظ المفكر الإسلامي العظيم (علي عزّت بيغوفيتش) ملاحظة دقيقة, وهي أن الدين كي يؤثر في دنيا الناس, فهو يحتاج أن يكون دنيوي.
- ما يميز قوّة الإسلام وفتوّة الإسلام التي أبهرت الناس, رغم كل المصاعب التي يعيشها المسلمون, هو هذه العبقرية التي تجمع ما بين العنصر المادي والروحي, ولا تقبل شطر الوجود إلى شطرين.

- تَطَلّعَ العديد من فلاسفة الغرب إلى وجود ما سمّوه "دين مدني", يكون بديلا عن المسيحية. ويقصدون بالدين المدني: دينٌ لا يفصل بين العنصر الدنيوي والعنصر المقدّس. فيكون القانون قانونا دينيا ودنيويا في نفس الوقت. ويلتزم الناس بالقانون ليس لأنه قانون دولة, وإنما لأنه قانون دين في نفس الوقت.
- هذا الدين المدني, الذي تمنّاه حكماء وأذكياء الغرب, لا يتحقق إلا في دين الإسلام.
- وأخيرا, فإن دين الفطرة هو دين العدل. العدل الإنساني والعدل الإلهي. فالله عز وجل أخبرنا أن غاية الرسل والرسالات هي القيام بالقسط. (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات, وأنزلنا معهم الكتاب والميزان, ليقوم الناسُ بالقسط)
- دين الفطرة الذي بَحَثَتْ عنه البشرية طيلة تاريخها, هو دين قائم على أساس العدل. على وحدانية الله, وعلى وحدة البشرية, وعلى العدلِ المطلق الذي لا ازدواجية فيه ولا مثنوية. عدل الإنسان في تعامله مع الإنسان, وعدل الخالق في تعامله مع الخلق. هذا هو دين الفطرة, وهو دين الإسلام. (إذا أحسن المسلمون فهم الإسلام وجرّدوه من العناصر التاريخية, والفهوم القاصرة, ومزّقوا الحُجُبَ بينهم وبين الوحي الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم, وهو وحي لا يزال طريا بين أيدينا اليوم, فليتنا نقدّره حق قدره)

المراجع

قائمة المراجع بالتفصيل موجودة في صفحة المادة على موقع رواق. اضغط هنا للإطّلاع عليها.